ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا،
اعدلوا هو أقرب للتقوى

التقوى

مجلة إسلامية شهرية
المجلد السابع العدد الثالث، محرم وصفر ١٤١٥ هـ
يوليو (تموز)١٩٩٤ م

حاربوا العُنصرية بالأخلاق المحمدية

العبادة الخالصة للّه تعالى تؤدي إلى خدمة خلقه

هل نحن بحاجة إلى الدين ؟

الفهم الاستشراقي للإسلام

صاح الشاعر المسلم وخرج هذا الدعاء من أعماقه:

يا رب هبَّت شعوبٌ من مَنِيَّتِها واستيقظت أممٌ من رَقْدةِ العَدَمِ
فالْطُف لأجل رسولِ العالمين بنا ولا تَزِد قومَه خَسْفاً ولا تَسِمِ
يا رب أحسنت بدءَ المسلمين به فتمِّمِ الْفضلَ وَامْنحْ حُسْنَ مُخْتَتَمِ

ولم يدر أن الله سبحانه قد حقق وعده وبعث

الإمام المهدي والمسيح المحمدي

ليحيي الإسلام ويظهره على الدين كله.

فهلموا يا أمة محمد ﷺ ولبوا وصية نبيكم المصطفى وبايعوا إمام الوقت.. ليرفع الله عنكم الخسف والذل، ويحسن ختامكم، ويعيد لكم أمجاد أسلافكم الصالحين.

بسم الله الرحمن الرحيم

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الاسلامية الاحمدية

مدير الإدارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
الحاج محمد حلمي الشافعي
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

دار النشر والتوزيع
الشركة الإسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

دار الطباعة
«الرقيم»
إسلام اباد ـ بريطانيا

المجلد السابع العدد الثالث، محرم وصفر ١٤١٥ هـ
يوليو (تموز) ١٩٩٤ م

VOLUME No 7, ISSUE No 3, July 1994

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير	٣
من جوامع الكلم	١٣
كلام الإمام	١٤
موجز لخطب الجمعة	١٥
ضرورة الدين	٢٦
الفهم الاستشراقي للإسلام	٣٠

ثمن النسخة : جنيه ونصف ٤١.٥ والاشتراك السنوي ١٥ أو ما يعادل ذلك خارج بريطانيا. ترسل قيمة الاشتراك باسم "التقوى" إلى عنوان المجلة

الافتتـــــاحية

توابع أمريكا .. والجهاد الإسلامي ..!!

قبل سقوط الاتحاد السوفيتي وانحلاله .. كان الصراع بينه وبين الولايات المتحدة لا يهدأ : وكان يتخذ مظاهر عديدة في مجالات السياسة والاقتصاد والأيدولوجية والعسكرية وغيرها .. واستقطبت أمريكا قادة بعض البلاد الإسلامية واتخذتهم توابع لها ليكونوا أدوات لها فى هذا الصراع.. تخدم أهدافها وتحقق مخططاتها. وعلمت ساسة هذه البلاد دروسا أجادوها فى إلباس الباطل ثوب الحق ، والمهارة في التشويش على شعوبهم ، ووضع عمامة الدين على رأس مناوراتهم وخدماتهم ، واستخدام طائفة من محترفي العمل الديني يجيدون زخرف القول بهتانا وزورا ، ويرددون كلمة الجهاد الإسلامى عندما يدبرون خدمة يقدمونها لأمريكا ، ويكفِّرون كل من لا يسير في ركاب سيدتهم ، ويرمونه بما فيهم وما ينضح منهم .

وعندما شجعت أمريكا الاتجاه الشعبي فى أفغانستان للثورة على الحكومة الشيوعية إزعاجا للاتحاد السوفيتي ، أمرت توابعها بتعضيد هذه الثورة وإلباسها لباس الجهاد الإسلامى . فقامت باكستان بفتح المراكز لتجميع الشباب المسلم من كافة الأنحاء ، خصوصا من البلاد التى تضم جماعات دينية تعمل بالسياسة ، أو قُل هي جماعات سياسية تلبس مسوح الدين . وجعلوا هذه المراكز لتدريب الشباب على حمل السلاح والأعمال العسكرية . وأخذت السعودية على عاتقها عمل الدعاية اللازمة فى العالم الإسلامى بصبغ هذه الحركة بصبغة الجهاد الإسلامي، وقام الإعلام السعودي- خادم الحرمين الغربيين - ومن يدور فى فلكه ويرتزق من ورائه .. بهذه المهمة خير قيام .. حتى ظن المواطن المسلم أن الجهاد الإسلامى قد دبت فيه الحياة ؛ وأن أمة الأسلام قد انطلقت تحت قيادة هذه التوابع من عقال خمولها وتحررت من ضعفها وتخاذلها .

وتحقق لأمريكا ما أرادت بفضل توابعها فى باكستان والسعودية وغيرهما ، وتعرضت الحكومة الشيوعية في أفغانستان لمتاعب شديدة ، ولم يتمكن الكرملين من دعم الحكومة العميلة لأنه كان يعاني من ضعف اقتصادى رهيب ، بل كان فى النزع الأخير، وسقطت الحكومة الشيوعية وجاء المجاهدون الأبطال لتولى زمام الأمور ، وقيادة الشعب الأفغانى فى طريق التقدم والإزدهار .

بقية ص ١٢

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

في عالم التفسير

لحضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني لسيدنا المهدي عليه السلام

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٨٠﴾

شرح الكلمات:

أماني: جمع أمنية، وهي ما تتمناه؛ الكذب؛ ما يُقرأ؛ المقصود والغاية

التفسير:

من معاني الأمنية «ما يُقرأ»، ويكون المراد من الآية أن من اليهود من يقتصر علمهم على قراءة صحفهم فقط.. وهم غير قادرين على فهمها تماما. وهذا بالمفهوم المحدود لكلمة (أميون)، وليس بمعناها العام أي من لا يستطيعون القراءة أصلا، فالمقصود منها من لا يعرف دقائق اللغة ويدرك من المعاني الظاهر منها فقط. فالآية تدمغ اليهود بأن منهم من لا يجتهدون لدراسة عميقة لكتبهم، وعندما يقرأون فيها كلمات ذات أوجه يختارون منها وجهًا يخالف سنة الله ومشيئته، تاركين منها ما يطابق سنته ومشيئته.

وفي هذا الموضوع عبرة كبرى للمسلمين.. لأن حالهم هكذا أيضا. فمعظمهم لا يعرفون معاني القرآن الكريم، ومن عرفها منهم فإلى حد محدود جدا. لا يلتفتون ولا يريدون الالتفات إلى ما في القرآن من مضامين كثيرة ومفاهيم غزيرة.. بل من يحاول ذلك يرمونه بالتأويل والكفر. ولأجل ذلك سُدت أمامهم أبواب خزائنه، وأصبح ماؤه الجاري لهؤلاء راكدا آسنا. أو لم يفكروا أن ما عابه القرآن على اليهود لا يمكن أن يكون جمالاً فيهم؟

ومن معاني الأمنية «ما يتمناه المرء»، وبناء على هذا المعنى تكون كلمة «أميون» بمفهومها العام..

أي من لا يستطيع القراءة والكتابة إطلاقا. والمراد من الآية أن من اليهود من لا يستطيعون قراءة كتابهم، أو أنهم يستطيعون تلاوته من الذاكرة ولكن بدون معرفة للمعاني، ويظنون أنهم إذا قرأوا صحفهم هكذا أو سمعوها بلا فهم لمعانيها كفاهم هذا للنجاة. وكأن كتاب الله تعالى يولد أمنية فقط في قلوبهم ولا يهبهم علمًا ونورا.

وهذا هو الحال للمسلمين أيضا. فهناك الملايين منهم الذين لا يقدرون على القراءة من المصحف، والملايين منهم من يقدرون على قراءته ولكنهم لا يعرفون معانيه. وكلتا الفئتين تعوزهم الرغبة في قراءة القرآن وفهم معانيه. يكتفون بسماع شيء من القرآن يتلوه أحد المقرئين أو غيره، أو يرددون قدرا يسيرا بدون فهم لما يرددون، ويحسبون أن هذا يكفيهم لنجاتهم. والواقع أنهم لم يسمعوا القرآن ولم يقرأوه، وإنما سمعوا أنغام القراءة ونظروا في بعض السطور المرقومة. إن القرآن الكريم اسم للمضمون الذى تنطوي عليه كلماته، ومن لم يقرأ هذا المضمون مدركا أنه هو المراد من الكلمات.. لم يقرأ القرآن. ومن لم يفهم هذا الكتاب الذى أنزله الله تعالى لهداية العالم فأنّى له أن يدعي الإيمان بدين صادق؟ إنني لا أقول أن من لا يعرف معاني القرآن فعليه ألا يقرأه، لأن مثل هذه القراءة، على الأقل، تذكّره بغايته؛ ولكنى أقول: من الضروري أن يجدوا في قلوبهم رغبة لفهم معانيه، وأن يحاولوا تعلمها. وما دامت هذه الرغبة موجودة والمحاولة جارية.. فلا شك أنهم سوف يعدون عند الله من الناجين. أما إذا كانت الرغبة مفقودة والمحاولة معدومة فكيف يرضون الله تعالى بمحض أمانيهم؟

ومن معاني الأمنية «الكذب».. فيكون المراد من الآية أن في اليهود من الأميين الذين لا يعرفون عن كتبهم إلا الكذب. لا يعرفون معاني كلام الله تعالى، ولكنهم يريدون أن يحسبهم الناس من العلماء وهم في الحقيقة لا يعلمون شيئا. وأي خير في مثل هؤلاء اليهود لأنفسهم أو لسواهم؟ وكيف يستحقون أن ينزل عليهم فضل الله تعالى وهم أعداء دينه؟ يسيئون إلى الله تعالى إذ يُلقون بجهلهم عليه جل وعلا، ويضلون البسطاء بقلة علمهم.

وللأسف أن مثلهم في المسلمين كثيرون. فمنهم من لا يستطيعون قراءة القرآن، ولكنهم يرددون على الناس ما سمعوه من قصص وأساطير جمعوها من هنا وهناك، ويوهمونهم أنه من قول الله وسنة رسوله؛ ثم يلحون عليهم أن يؤمنوا ويعملوا بها. ومنهم من يلمون بالعربية قليلا ولكنهم محرومون من الكفاءة لفهم دقائقها وإدراك مراميها، وبسبب علمهم الناقص بالقرآن يَضلون ويُضلون. ومنهم من يستطيعون تلاوة القرآن ويتعالون بذلك على العامة الذين لا يعرفون التلاوة، ويتظاهرون أمامهم بالمهارة في علوم القرآن. الواقع أن هؤلاء هم السوس الذى ينخر في أساس الإسلام. فلو أن المسلمين اهتموا بقراءة القرآن وحاولوا لتدبره وفهمه فهما صحيحا، ولم يتبعوا الكاذبين ولم يسيروا وراء أهوائهم.. لم ير الإسلام هذا اليوم الأسود الذى يُحزن قلب كل مسلم مخلص.

يبين قوله تعالى [وإنْ هم إلا يظنون] أن كل هؤلاء الأصناف من الناس الذين مر ذكرهم يعتمدون على الظن ولا علم عندهم.

وقوله تعالى [فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم] ضرب من جمال الإيجاز والبلاغة في أسلوب القرآن الكريم. إذ تبدو هذه الآية وكأنها تعقيب يكمل الآية السابقة، ولكنها في الحقيقة تعرض صنفا آخر من أهل الكتاب. فالآية السابقة تذكر أولئك الذين لا يعرفون العبرية ولا اطلاع لهم على ما في أسفارهم من مفاهيم دقيقة، فيضلون ويُضلون؛ أو الذين يقرأون صحفهم أو يحفظون جزءا منها ولكنهم لا يعرفون معانيها، وإنما يتمسكون ببعض تفاسير من علمائهم ويذكرونها للناس في غير مناسبتها على أنها التعاليم الحقة في كتبهم. فكأن الآية السابقة تتناول ذكر الجهال منهم. وأما هذه الآية فتتناول العلماء منهم، وتبين أن أولئك اليهود الذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يوهمون الناس أنها من عند الله.. سوف ينزل الله بهم عذابه.

واستخدام حرف (الفاء) في قوله تعالى [فويل للذين يكتبون الكتاب] يدل على أن الضلال الذى وقع فيه أشباه العالمين والجهال كان نتيجة لما ينتحله هؤلاء الكتاب العالمون الذين فسدت ضمائرهم فنسبوا إلى الله ما كتبوه من عند أنفسهم. وفضلا عن ذلك تذكر الآية هنا علماء اليهود الذين خلت قلوبهم من الأمانة والتقوى، وتسببوا في ضلال الآخرين وهلاكهم بما قدموه لهم من تفاسير وفتاوى باطلة على أنها كلام الله تعالى، أنهم سوف يتحملون مسئولية فسادهم ومسئولية إضلال العامة ومن على شاكلتهم.

ففي هذه العبارة الوجيزة والكلمات المعدودة بين الله تعالى أولا أن في اليهود علماء ولكنهم يستغلون علمهم أسوأ استغلال، وثانيا أن هؤلاء العلماء مسئولون عن ضلال الجهال، وثالثا أنهم سيلقون عقابا مضاعفا بسبب جريمتهم ذات الشقين: ضلال وإضلال.

وقوله تعالى [ليشتروا به ثمنا قليلا] يبين أن هؤلاء العلماء يفسدون دينهم لأغراض دنيوية، ولا حرج عندهم لو ضاع الدين إذا سلمت لهم الدنيا.

وقد يتساءل أحد: لماذا قال [يكتبون الكتاب بأيديهم] وكل كاتب يكتب بيده؟ والجواب أن الله تعالى قال [بأيديهم] تأكيدا بأنهم كتبوا ذلك بأنفسهم هم، لأن فعل (كتب) يعني أيضا الإملاء على الآخر ليكتب لك. ورد في الحديث عن الرسول ﷺ أنه قال: «أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدا» (البخارى، كتاب المغازى).. مع أن الثابت من القرآن والتاريخ أنه ﷺ لم يكن يعرف الكتابة. فقوله ﷺ (أكتب لكم) إنما يعني أملي على أحدكم. فبذكر (أيديهم) في الآية أشار إلى العلماء الذين يجيدون القراءة والكتابة كيلا يظن أحد أن الآية تتحدث عن الجهلة الذين مر ذكرهم في الآية السابقة.

قوله تعالى [فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون] يبين أن هؤلاء العلماء لا يستحقون عذابا ضعفا بل ثلاثة أضعاف: أولا، لأنهم أضلوا الجهال؛ وثانيا، لأنهم نسبوا إلى كلام الله تعالى ماليس فيه؛ وثالثا، لأن الباعث على التحريف والتزوير لم يكن خيرا، بل كسب متاع دنيوي قليل.

وتبين هذه الآية فلسفة هامة للثواب والعقاب. فالأعمال السيئة على نوعين: سيئة تقع عن

جهل وغفلة ، وسيئة ترتكب عن عمد. ثم هذه السيئة العمد أيضا على قسمين : الأول ما يكون باعثه فكرة خيرٍ وإن كانت خاطئة ؛ والثانى ما يكون دافعه فكرة شريرة. فمثلا إذا قتل شخص غيره عن خطأ أو جهل فهذه جريمة بلا شك ولكن مرتكبها إما أن يُعفى من العقاب تماما أو يُعاقب عقابا خفيفا إذ كان مقصرا في الاحتياط والحذر. ولكن هناك قاتلاً آخر قتل متعمدا ظنا منه أن الرجل قد قتل ولده أو أحدا من صلحاء قومه. فهذه جريمة منكرة ولا شك ولكن باعثه خير. ثم هناك قاتل ثالث قتل أحدا ليسلب نقوده لينفقها على الملذات الدنيوية.. فهذه جريمة سيئة وباعثها أيضا سيء، وبالتالي فقد ارتكب جريمتين : القتل والطمع ، فيستحق عذابا مضاعفا.

وكذلك الحال للحسنات،فهي أيضا على أنواع. فقول القرآن أنهم يعذبون بسبب ما كتبت أيديهم ، ويعذبون لأنهم فعلوا ذلك لكسب متاع الدنيا القليل.. قد بين نكتة لطيفة للأخلاق ، وفتح بابا للعلم لمن أراد أن يتزود بالتقوى.

يستنتج النصارى من هذه الآية أن القرآن الكريم يعترف ضمنا بحفظ كتابهم المقدس إلى زمن النبي ﷺ ، وإلا ما اعترض على تحريف كتاب كان محرفا من قبل. والجواب أولا ، أننا لم نفسر الآية بأنها تتحدث عن تحريف التوراة أو الإنجيل ، لذلك فاستنتاجهم باطل وفي غير محله. ثم لو فسرنا الآية بهذا المعنى أيضا وأنها تتهم اليهود بأنهم كانوا يحرفون كتابهم أيضا في زمن الرسول ﷺ فليس معناه أن كتابهم كان بالضرورة سليما من التحريف قبل ذلك. نعم ، يحق لهم القول أنه ما وجه الاعتراض على تحريف ما هو محرف أصلا؟ والجواب : لا شك أن اليهود كانوا قد بدأوا قبل نزول القرآن بالتحريف في التوارة حتى قبل المسيح أيضا ، واستمرارهم في التحريف أيضا أمر سيء ومشين ، ومع ذلك لا بد من التسليم بأن التوارة كتاب سماوي ولكنه محرف مبدل. إذا كان هناك كتاب من صنع الإنسان وظنه أحد خطأً أنه كتاب من الله.. ثم حرفّه بأكمله فلا بد من اعتباره مجرما.. لا بمعنى أنه يحرف كتابا ربانيا ، بل لأنه يحرف كتابا يحسبه من الله تعالى. جاء في القرآن الكريم : [إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله. والله يشهد إن المنافقين لكاذبون] (المنافقون : ٢). فعلى الرغم من أن المنافقين كانوا يشهدون بالحق الذى شهد عليه الله بنفسه إلا أنهم عُدُّوا كاذبين لأنهم لم يكونوا يؤمنون في قلوبهم بما تشهد به بألسنتهم ، وكما أن تظاهر المرء بالإيمان بشيءٍ حقٍ لا يؤمن به قلبه يُعَدُّ نفاقًا ، كذلك فإن التحريف في كتاب محرف أصلا على أنه كلام الله تعالى يعتبر علامة كفر وجريمة يستحق مرتكبها أن يحذّره الله في كتابه. إن التوارة لم تكن إلى زمن الرسول ﷺ محفوظة ، بل كانت محرفة مبدلة ، ولكن اليهود كانوا يعتبرونها محفوظة وغير محرفة ، وأنها من بدايتها إلى نهايتها كلام الله تعالى ، وإذا كانوا مع هذا الاعتقاد يخفون مضامينها أو يحرفون فيها فهذا دليل على سوء إيمانهم وقبح فعالهم.

ثم إنه يجب تذكر أن التوارة حتى في شكلها الحالي تتضمن آلاف الحقائق ، فإذا حرفوها اليوم أيضا لكانوا مجرمين.

وهناك معنى آخر لهذه الآية هو أن اليهود يعتقدون عن التوراة أنها ضاعت عند غزو الملك البابلي بختنصر لأورشليم وهدم معبدها ، ثم ألفها فيما بعد النبي عزرا. فكأن تاريخ اليهود أيضا

يؤكد أن التوارة الأصلية لم يعد لها وجود، بل إن بعض الناس جمعوها وصححوها، فكانت بمثابة الأحاديث النبوية عند المسلمين. وكما أن الأحاديث النبوية لا يمكن تسميتها كتاب الله، كذلك لا يمكن تسمية التوراة كتاب الله لأنها صارت عرضة لاحتمال الخطأ.. ولا سيما أن اليهود لم تكن عندهم قط عادة حفظ التوارة عن ظهر غيب، كما أن الشهادات الداخلية للتوراة تؤكد أنها ليست بشكلها الأصلي.. بل أضيف إليها كثير من الزوائد والتفاسير والروايات الخاطئة. فيمكن أن تعني الآية أيضا أن هؤلاء اليهود يعرفون بأنفسهم حسب شهادة تاريخهم أن كتابهم لم يسلم من أيد محرفة، ومع ذلك يصرون أنه كتاب الله. لا شك أنه كان كتاب الله تعالى في باديء الأمر، ولكن بعد كل ما حدث له على أيدي المحرفين من زيادة ونقص، لا يجوز تسميتُه كلام الله ووضعُه بإزاء كتاب هو كلام الله الخالص. فإن ذلك ظلم وإجحاف.

أما النصارى فقد ساروا خطوة أبعد من اليهود، فيقولون إن كل الأناجيل كلام لله تعالى. ولكنك لو فتحت كتابهم وجدت فيه إنجيل متى، إنجيل مرقص، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا، رسائل بطرس، رسائل بولس، رسائل كيت ورسائل كيت. فكيف يمكن أن تكون أناجيل البشر ورسائلهم كلام الله تعالى؟ صحيح أنه يوجد في الإنجيل كلام الله، ولكن هذا لا يعني أنه كتاب الله.. لأن البشر بكلماتهم ألّفوا بعض الأمور التى لم يسمعوها من الله تعالى مباشرة وإنما سمعوها من نبيهم، أولم يسمعوها حتى منه ؛ بل استنتجوها من سماع أمور من لسان النبي ثم ذكروها بكلماتهم. وهذه الأجزاء من كتابهم لا تشكل أكثر من اثنين أو ثلاثة بالمائة، أما ماعدا ذلك فهو من بنات أفكارهم أو من روايات غير محققة. فاعتبار مثل هذه الكتب أنها كتب الله ثم تأسيس دين عليها، ثم وضعها بإزاء كتاب هو كلام الله تعالى لظلم كبير.

كما يمكن أن يكون في هذه الآية إشارة إلى عشرات الكتب الأخرى الموجودة لدى اليهود والنصارى التى يعتبرونها من وحي الله تعالى، أو بمنزلة الكتب السماوية.. ولكنهم بأنفسهم يشكون في صحتها. لقد نشر النصارى مجموعة هذه الكتب باسم (أبوكريفا Apocrypha) ويعتبرها مؤلفوها وبعض المذاهب المسيحية كتبا إلهامية، ولكن النصارى في مجموعهم لا يعتبرونها كتب الله ولا يعترفون بصحتها. فالأمة التى تعتقد أن لها أسفارا منهم من يعتبرها إلهامية ومنهم من يراها على عكس ذلك.. أفلا يحق للقرآن العظيم أن يلومهم ويزجرهم ويبرز خطأهم للعالم ويحاول إصلاحهم؟

وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

شرح الكلمات:

يخلف: أخلف وعده: لم يتمه (الأقرب)

التفسير:

الآية تتحدث عن طائفة من اليهود كانوا يعتقدون أنهم مهما ارتكبوا من الذنوب فإن الله تعالى لا يعذبهم إلا لأيام محدودة، لأنهم أولاد أحباء الله. الحق أن اليهود قد حذفوا من التوراة عقيدة الحياة بعد الموت، فلم يبق هناك ثواب وعقاب! لو قرأ الإنسان كل العهد القديم لم يجد فيها مسألة الحياة بعد الموت صراحة كما هو وارد في القرآن، وإنما لا بد من إعمال الفكر والجهد الشديدين لاستنباط هذه المسألة. كانت أغلبية اليهود ترجو كل الثواب في هذه الدنيا وترى أن كل العقاب أيضا فيها، وكان قليل منهم مازالوا يؤمنون بالحشر والنشر. ولكنهم أيضا كانوا يحسبون أنهم لن يعاقَبوا لزمن طويل لأنهم أحباء الله، وكانوا يرون أنهم بعد عقاب أيام معدودة سيتحولون إلى رماد، ويوضع هذا الغبار على أقدام الصلحاء. وكان يرى البعض الآخر أنهم ينالون الغفران بعد عقاب محدود.

يذكر سيل Seale، في ترجمته للقرآن أنه من المسلَّمات عند اليهود أن أحدهم مهما كان شريرا، وأيا كانت فرقته أو طائفته، لن يبقى في الجحيم أكثر من أحد عشر شهرًا أو سنة على الأكثر.. ما عدا (داتن وأبيرام) والملحدين.. لأن الأولَيْن تمردا على موسى وجمعا شرذمة للقضاء عليه (سفر عدد ١٦). وأهلكهما الله بعذاب خاص. ويقول كتابهم (التلمود البابلي) أن اليهود، ما عدا الكفار و(جير وبوم) لن يمكثوا في الجحيم إلا اثنى عشر شهرا ثم يصبحون رمادا يذر على أقدام الصلحاء.

وجاء في تلمود بابا ميزيا (Baba Meizya)، أن كل اليهود سيدخلون جهنم، ولكنهم سيخرجون منها إلا الزناة وهاتكي حرمة الجيران.

وجاء في تلمود (أير وبين): لن تمس نار جهنم اليهود الآثمين لأنهم سوف يعترفون بذنوبهم على أبواب جهنم، فيرجعهم الله تعالى منها.

وجاء في تلمود (بركوت Barakot) أن المرتد والرومي والإيراني سوف يدخل جهنم، أما عصاة اليهود فلن يدخلوها. وورد فيه أيضا أن هناك خطورة ضئيلة جدا على بني إسرائيل من دخول جهنم، ولكن اليهودي المرتد عليه خطر كبير من دخولها، وكذلك غير اليهود (الموسوعة اليهودية).

تبين هذه المقتبسات أن معظم اليهود كانوا يعتقدون أنهم لن ينالوا إلا عقابا محدودا. وقد ذكر صاحب (البحر المحيط) أن اليهود كانوا يرون أنهم عبدوا العجل لأربعين يوما وسيعاقبون في النار أيضا أربعين يوما. وقد استكثر بعض منهم الأربعين يوما وقالوا: لن ندخل إلا سبعة أيام. ويدل هذا على أن مثل هذه الأفكار كانت موجودة عندهم في زمن النبي ﷺ.

يقول الله تعالى لرسوله اسْأَلْهم: هل أخذتم من الله عهدا في هذا الشأن؟ إذا كنتم قد حصلتم على مثل هذا العهد فلن يخلف الله عهده. إن العقاب مسألة في يد الله تعالى وحده وليس في يد كهنتكم حتى يحكموا بما يشاءون. إذا كان الله تعالى قد عقد معكم عهدا فلا بد وأن يكون عندكم في التوراة، ويعلنه موسى أوغيره من الأنبياء، ولكن أنبياءكم ساكتون عن هذا، أما علماء التلمود فيقولون به

بحسب اجتهاداتهم أو أمانيهم. أليس هذا إهانة في حق الله تعالى ودينه؟

ثم يقول: إذا لم يكن هناك عهد إلهي لكم فهذا يعني أن علماءكم لفقوا هذه الأفكار من عند أنفسهم. والبيّن أن الافتراء على الله معصية كبرى.

الحق أن فساد الأديان يرجع إلى هذه المفتريات التى اختلقها الناس ونسبوها إلى الله تعالى كذبا وزورا. والمسلمون أيضا كلما اختلفوا فيما بينهم في أمر من أمور دينهم لفقوا شيئا ونسبوه إلى الإسلام.. تدعيمًا لرأيهم. القرآن ساكت، والحديث صامت عما يقولون، بل إنهم في قرارة أنفسهم غير مقتنعين بما يقولون.. ولكنهم لا ينفكون يرددون أن الإسلام يقول كذا وكذا. ندعو الله تعالى أن يوفق المسلمين ليفطنوا لهذا العيب فلا يتلاعبوا بالقرآن ولا يأخذوا في أيديهم ما هو حق الله وحده.

بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات:

بلى: حرف تصديق مثل «نعم» وأكثر ما تقع بعد الاستفهام، وتختص بالإيجاب سواءٌ كان ما قبلها مُثبتا أو منيفا نحو: أقام زيد؟ الجواب بلى، أي قام. وأما قام زيد؟ والجواب بلى أي قام.

كَسَبَ: كسبَ الشيء: جمعه. كسبَ الإثم: تحمله (الأقرب).

التفسير:

(بلى) حرف تصديق لما بعده سواء كان ما قبله صحيحا أو خطأ. فمعنى قوله تعالى [بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته] أن لا شك أن من ارتكب سيئة متعمدا، ثم تغلبت عليه خطاياه بحيث يضعف فيه تأثير الخير ويضيع منه، فإنه يدخل النار، ويبقى فيها لمدة طويلة.

ويشير كسب السيئة وإحاطة الخطيئة بفاعلها إلى أن كل خطية لا تدخل مرتكبها في جهنم، بل لا بد من توافر: العلم، والإرادة، وغلبة الخطايا عليه وإحاطتها به. وهذا هو التعليم الحكيم الذى يرتاح إليه قلب الإنسان، ولا يطمئن إلى عقيدة الكفارة التى يعتقد فيها النصارى بأن من آمن بالموت الصليبي للمسيح غفرت له كل الذنوب؛ أو عقيدة الهندوس بالنجاة المحدودة التى تلقي بالإنسان في دورة التناسخ؛ أو عقيدة أتباع زردشت عن التمايز النسلي. القرآن يقول بأن الدين ذريعة للنجاة، ولا يعني مجرد اعتناق دين ما أن الإنسان ينال به حقوقا خاصة، وإنما يتأسس قانون النجاة على اعتقاد سليم ونية حسنة وسعي صادق. إن العقيدة تساعد على النجاة، ولكنها ليست ضمانا لها، بل إنها في

بعض الأحيان تجعل المرء عرضة للعقاب؛ لأن الذى يخطئ عن علم يستحق عقوبة أشد، والذى يضل رغم أسباب الهداية جرمه أكبر. فلا تظنوا أنكم باعتناق الدين نجوتم من العقاب، وإنما يوجهكم الدين إلى أعمال وأفكار تساعدكم على النجاة. أما إذا لم يصلح دينكُم أعمالَكم وأفكارَكم فليس في ذلك ما يدعو للاطمئنان، بل هو مظنة للخطر. ما أقرب هذه النظرية إلى الفطرة، وما أسماها عن أي اعتراض!

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٣﴾

التفسير:

ذكر من قبل أحوال أصحاب النار، وهنا ذكر أحوال أصحاب الجنة، وبيّن أنه لاستحقاق عقاب النار شروط ثلاثة هي العلم والإرادة وغلبة الشر على الخير، ولاستحقاق نعيم الجنة أيضا شروط هي: الإيمان والعمل الصالح بحسب هذا الإيمان.

لقد ذكرت من قبل أن اعتناق الدين ليس ضمانا للنجاة وإنما يساعد على تحقيقها. وقد بين الله تعالى في هذه الآية أن الذين يؤمنون ويعملون عملا صالحا يدخلون الجنة. ويمكن أن يتساءل أحد: ألا ينفع العمل الصالح الإنسانَ بدون إيمان؟ فالجواب أنه لا يصح القول بأن العمل الصالح بدون الإيمان لا ينفع، وإنما الصحيح أن العمل الصالح لا يتولد بدون الإيمان. فلو أننا فكرنا بعمق لوجدنا أن العمل لا يعني فقط صنع شيء بالجوارح. بل نشاط العقل أيضا عمل. فلو أن الإنسان انتوى لأحد بنية حسنة أو سيئة فإن النية عمل في حد ذاتها وإن لم تخرج إلى حيز التنفيذ. إذا كان قلب الإنسان مليئا بأفكار أو نوايا سيئة ضد الآخرين، فيحسد الناس ليل نهار ويريد بهم الشر... لا يمكن أن نبرئه من سوء العمل، وإنما نقول بأنه لم يتمكن من تنفيذ شره بيده أو جوارحه.. ولكنه كان سيء العمل فعلا.

والحق أن القرآن الكريم يبين أن التعريف الصحيح للعمل الصالح لا يمكن إلا بمعونة الله ورسوله. وإذن فلا يستطيع الإنسان معرفة العمل الصالح بدون الإيمان. ولا يعني ذلك أن الانسان لا يستطيع معرفة أي قدر من العمل الصالح بدون الإيمان، بل هناك مئات الأجزاء منه يعرفها الإنسان بدون الإيمان؛ ولكننا نقول بأن التعريف الصحيح الكامل للعمل الصالح لا يمكن بدون الإيمان.

ثم إن القرآن يذكر نتيجتين للعمل الصالح: إحداهما أن الإنسان ينال على الأعمال الصالحة ثمارها الصالحة في هذه الدنيا، وكذلك الحال بالنسبة للأعمال السيئة. فالصادق يذيع صيتُه، والكاذب تسوء سمعته. والصادق يثق به الناس، والكاذب لا اعتبار لقوله عندهم. والأمين يستودعه الناس أماناتهم فينتفع بها، بل يُقبل الناس على توظيفه، وينال مرتبا أعلى، وأما الخائن فلا يؤتمن ولا يقترب منه أحد. ولكن آيتنا هذه لا تتحدث عن الثواب الدنيوي أو النتيجة الدنيوية، وإنما تتحدث عن الجنة. وينشأ السؤال: ما دام الإنسان قد نال الجزاء في الدنيا على عمله الذى قام به فلم ينال ثواب الجنة أيضا؟ إذن لا بد، لنيل الجنة، من أن يكون قد عمل معه عملا آخر طاعةً لله تعالى وهذا هو الإيمان، ولأجل ذلك كان الرسول ﷺ يشير إلى ضرورة الإيمان عند ذكر عمل يدخل الجنة، فقال مثلا: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له». ومعنى ذلك أن الانسان ينال الأجر الدنيوي على عمله، وينال الأجر الأخروي على عمل زائد.. وهو الإيمان. إن الذى يصدق في كلامه سيحصل على ثواب دنيوى صيتا حسنا ونجاحا وازدهارا.. ولكنه لو صدق في قوله إيمانا بالله وطاعة له يكون قد عمل عملين: قول الصدق، وإرضاء الله تعالى بطاعته. وأجر الطاعة يناله الإنسان في الآخرة في صورة الجنة.

فشرط الإيمان الذى قررّه الله تعالى لا يقلل من قيمة العمل الصالح وإنما يبين أن العمل الصالح إذا صاحَبَه الإيمان زادت قيمته، ولا ينال عليه الإنسان الإنعامَ في هذه الدنيا فقط، بل ينال إنعامًا ثانيًا في الآخرة أيضا. فالذين يقولون بأن الإسلام يقلل من قيمة العمل الصالح مخطئون. إن العمل الصالح الذى تعمله لله ينتفع به الناس، فيردون لك الصنيع بقدر استطاعتهم في الدنيا، ولكن هذه المكافأة من الناس لا يمكن أن تكون ثوابا من الله على العمل الصالح الذى قمت به لمرضاته، وإنما هناك مكافأة عليه عند الله في الآخرة. وبما أن الوسائل عند الله غير محدودة فلذا ينال صاحب العمل الصالح جنة غير محدودة. فالقرآن الكريم لم يقلل قيمة العمل الصالح بشرط الإيمان وإنما بيَّن أن العمل الصالح إذا كان مصحوبا بالإيمان زاد قدره وزادت مكافأته. إن الانسان إذا نوى عند قيامه بعمل صالح أنه يفعله إرضاء لله تعالى، وفي ذهنه صورة واضحة للعمل الصالح، بناء على إيمانه بالله ورسوله وبنور تعاليمه.. فلا بد أن تكون مكافأته أعظم من مكافأة من يعمل لخير الناس وحدهم. ولا ينال هذا الجزاء في الدنيا بل وفي الآخرة أيضا.. لأنه بربط العمل بالإيمان وبرضا الله تعالى يزداد قدر المكافأة ويمتد زمنها.

العمل الصالح: القرآن كلما ذكر العمل أشاد بالعمل الصالح، أي المناسب للظروف.. فالصلاة في وقت الصلاة، والجهاد في وقت الجهاد، وكل عبادة وفرض من فروض الدين في وقته هو العمل الصالح. كما وجه القرآن بذكر العمل الصالح نظرنا إلى أن العمل الحسن أحيانا يكون سيئا.. كالرحمة في موقف يقتضي الانتقام، واللين في ظرف يقتضي الشدة، وما إلى ذلك.

وبذكر (أصحاب الجنة) بعد ذكر (أصحاب النار) أشار القرآن الكريم إلى أن الناس على نوعين: نوع من أهل النار، منهم من يعذب عذابا مؤقتا، ومنهم من يعذب عذابا طويلا؛ ونوع من أهل الجنة، منهم من ينال نعيما عارضا، ومنهم من ينال نعيما أبديا؛ لأن كلمة (أصحاب) تدل على معنى الدوام. ثم هناك أناس يكون فترة مكثهم في الجحيم أقل من السابقين أو فترة مكثهم في الجنة أقل من السابقين. ويتبين من القرآن الكريم أن أهل هذا العذاب المؤقت أو أهل هذه الجنة المؤقتة سوف ينالون أولا قسطا من العذاب ثم بعد نيل الغفران يدخلون الجنة الأبدية. (أصحاب الجنة) هم الذين يدخلونها من أول يوم، وإلا فكل إنسان سوف يدخل الجنة في آخر الأمر.

ولكن تعاليم **الآرية الهندوس** عكس ذلك. فيظنون أن الله تعالى سوف يعذب الناس أولا، وقبل اكتمال العذاب يبدأ في الإنعام عليهم، ويستمر في الإنعام، ثم يبدأ في العقاب لما تبقى من ذنوبهم، فيخلقهم خلقا آخر. وهذا التعليم ينم عن بغض وحقد، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

الافتتاحية، بقية

وهنا انكشف الغطاء عن المجاهدين وتوابع أمريكا. أما المجاهدون المزعومون فقدثبت أنهم طلاب دنيا.. كل همهم أن يصلوا إلى الحكم ليحصلوا على عائدات جهادهم الإسلامى المزعوم. وإذا بالمجاهدين يتحولون إلى شراذم من العصابات تتقاتل فيما بينها بأبشع أسلوب، ويدفع المواطنون الأفغان من دمائهم وأمنهم وسلامتهم الثمن الفادح، ويعانون من شرور هؤلاء 'المجاهدين المؤمنين'! بمثل ما كانوا يعانون من الشيوعيين الكافرين.. بل وأشد.

أما توابع أمريكا فقد جلسوا إلى مقاعدهم الوثيرة، بعد أن نفذوا خطة سيدهم فى البيت الأبيض، وتركوا فصائل المجاهدين في سبيل الدنيا يتقاتلون ويخربون البلد الإسلامي، ونفضوا أيديهم من القضية بعد أن تم المطلوب.

هذا هو تشدقهم بالجهاد الإسلامى كما يفهمونه.. والذي يعود على أمة المسلمين بالخسار والدمار، ولا يستفيد منه إلا أعداء الإسلام.

وعاد فريق من الشباب المضَلل إلى بلاد المسلمين لينشروا الفوضى والإرهاب بين الناس، وفريق آخر حبسته الحكومة الباكستانية وحُرم من العودة إلى بلادهم.

وهكذا يخلقون للبلاد الإسلامية المشاكل والمتاعب فوق ما تعانيه، ويخدمون أهداف أمريكا والغرب.. ولا يعنيهم إلا استمرار جلوسهم على كراسي السلطة.

متى يرجع هؤلاء الظالمون عن ظلمهم للإسلام وبنيه؟ ومتى يُشفون من سعار السلطة والحكم والمال؟ ومتى يخشون من الله تعالى يوما كان شره مستطيرا؟ اللهم اهدهم.. تخفيفا عن أمة حبيبك المصطفى ﷺ، وادفع أذاهم وشرهم عن عبادك المخدوعين بمكرهم ودينارهم! **المحرر**

من جوامع الكَلِم

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدا أبعد من المسجد منه، وكانت لا تخطئه صلاة! فقيل له: لو اشتريت حمارا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء؟ قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد. إني أريد أن يُكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي. فقال رسول اللهﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كله». (رواه مسلم)

عن عبد الله،وقِيْلَ، عمرو بن قيس المعروف بابن أم مكتوم المؤذن رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، إن المدينة كثيرة الهوام والسباع. فقال رسول اللهﷺ: «تسمع حي على الصلاة، حي على على الفلاح! فحيهلا». (أبو داود)

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبيﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه. فقلت له: لم تصنع هذا، يا رسول الله، وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال:«أفلا أكون عبدا شكورا». (متفق عليه)

عن النبيﷺ قال: إنّ أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة. قال: يقول ربنا جل وعز لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدى أتمها أم نقصها. فإن كانت تامة كُتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيأ قال:انظروا هل لعبدى من تطوع؟فإن كان له تطوعً قال:أَتِموا لعبدى فريضةً من تطوعه. ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم. (أبو داود، كتاب الصلاة).

عن أبي كعب قال: كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة. فكان لا تخطئه الصلاة مع رسول اللهﷺ. قال فتوجعنا له، فقلت له: يا فلان! لو أنك اشتريت حمارا يقيك من الرمضاء ويقيك من هوام الأرض! قال: أَمَ والله! ما أحب أن بيتى مطنَّب ببيت محمد. قال فحملتُ به حملا حتى أتيت نبيّ اللهﷺ. فأخبرته. قال فدعاه. فقال له مثل ذلك، وذكر له أنه يرجو في أثره الأجر. فقال له النبي ﷺ:«إن لك ما احتسبت». (مسلم، كتاب المساجد)

كلام الإمام

سيدنا المهدي والمسيح الموعود (عليه السلام)

(١)

«إن فردوسنا إلهُنا.. وإن أعظم ملذاتنا في ربنا، لأننا رأيناه ووجدنا فيه الحسن كله. هذا الكنز جدير بالاقتناء ولو افتدى الإنسان به حياته، وهذه الجوهرة حَرِيَّة بالشراء ولو ضحى الإنسان في طلبها كلَّ وجوده. أيها المحرومون.. هلموا سراعا إلى هذا الينبوع ليروي عطشكم. إنه ينبوع الحياة الذي ينقذكم. ماذا أفعل، وكيف أُقرُّ هذه البشارة في القلوب؟ بأي دفٍّ أنادي في الأسواق.. بأن هذا هو إلٰهكم.. حتى يسمع الناس؟ وبأي دواء أعالج حتى تتفتح للسمع آذان الناس؟

إن كنتم لله فتيقنوا أن الله لكم».

(الخزائن الروحانية، ج ١٩، سفينة نوح ص٢١ و٢٢).

(٢)

«يا من يملكون السمع.. أنصتوا! ماذا يريد الله منكم؟ يريد فقط أن تكونوا له وحده.. لاتشركوا به أحدا.. لا في السماء.. ولا في الأرض. إن إلهنا هو ذلك الإله الذي هو حيٌ الآن كما كان حياً من قبل.. ويتكلم الآن أيضا كما كان يتكلم من قبل، ويسمع الآن أيضا كما كان يسمع من قبل. إنه لظَن باطل القولُ بأنه يسمع في زمننا هذا.. ولكنه لم يعد يتكلم. بل إنه يسمع ويتكلم أيضا. إن صفاته كلها أزلية أبدية.. لم تتعطل منها أية صفة قط، ولن تتعطل منها أية صفة أبدا. إنه ذلك الأحد الذي لا شريك له، ولا ولد له، ولا صاحبة له. إنه ذلك الذي لا مثيل له ولا كفوَ له... والذي ليس له ندٌّ في صفاته.. والذي لا تعُوزه قوة من القوى. إنه قريب مع بعده.. وبعيد مع قربه.. إنه فوق الجميع.. ولكن لا يمكن القول بأن أحدا تحته. إنه على العرش، ولكن لا يمكن القول أنه ليس على الأرض. هو مجمع الصفات الكاملة كلها، ومظهر المحامد الحقة كلها، ومنبع المحاسن كلها، وجامع للقوى كلها، ومبدأ للفيوض كلها، ومرجع للأشياء كلها، ومالك لكل ملك، ومتصف بكل كمال، ومنزه عن كل عيب وضعف، ومخصوص بأن يعبده وحده أهل الأرض والسماء».

(الخزائن الروحانية، ج ٢٠، الوصية ص ٣٠٩، ٣١٠).

(٣)

«ذلك النور الإلهي الذي وُهب لإنسان.. أعني الإنسان الكامل، لم يكن ذلك النور لا في الملائكة.. ولا في النجوم.. ولا في القمر.. ولا في الشمس؛ ولم يكن في بحار الأرض.. ولا في أنهارها؛ ولم يكن في اللَّعْل.. ولا في الياقوت.. ولا في الزمرّد.. ولا في الماس.. ولا في اللؤلؤ.. بالاختصار.. لم يكن ذلك النور في أي شيءٍ من الأرض أو السماء، وإنما كان في إنسان كامل.. ذلك الإنسان الذي كان أتمَّ وأكمل وأعلى وأرفع فرد من بني الإنسان.. سيدنا ومولانا سيد الأنبياء.. سيد الأحياء.. محمد المصطفى ﷺ..

(الخزائن الروحانية، ج٥، مرآة كمالات الإسلام ص ١٦٠، ١٦١)

(٤)

«إنني دائما أنظر بعين الإعجاب إلى هذا النبي العربي.. محمد عليه ألف ألف صلاة وسلام. ما أرفع شأنه! لا يمكن إدراك سمو مقامه العالي، وليس بوسع إنسان تقدير تأثيره القدسي. الأسف، أن الدنيا لم تقدر مكانته حق قدرها. إنه هو البطل الوحيد الذي أعاد التوحيد إلى الدنيا بعد أن غاب عنها. إنه أحبَّ الله غاية الحب، وذابت نفسه تماما شفقة على خلق الله، لذلك فإن الله العالمَ بسريرته فضَّله على كل الأنبياء، وعلى الأولين والآخرين جميعا، وحقق له في حياته كل ما أراد».

(الخزائن الروحانية، ج ٢٢، حقيقة الوحي، ص ١١٨ إلى ١١٩).

(٥)

«إن ذلك الحادث العجيب الذي جرى في برية العرب.. حيث بُعث مئات الألُوف من الموتى في أيام معدودات.. وتحلَّى بالصـ الإلهية أولئك الذين فسدت أخلاقهم على مر الأجيال، وأصبح العمي يبصرون، والبُكْم بالمعارف الإلهية ينطقون.. وحدث انقلاب في العالم لم تره عين، ولم تسمع به أذن قط.. هل تعرفون كيف حدث ذلك؟ إن تلك الدعوات التي دعا بها في جوف ليال حالكة.. عبدٌ متفان في الله.. هي التي أحدثت ضجة في الدنيا، وأظهرت العجائب التي يبدو صدورها مستحيلا على يد ذلك الأمي الضعيف الحيلة.

اللهم صلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وآله.. بعدد همّه وغمّه وحزنه لهذه الأمة، وأنزِلْ عليه أنوارَ رحمتك إلى الأبد».

(الخزائن الروحانية ج ٦، بركات الدعاء ص ١٠ و ١١).

موجز لخطب الجمعة

ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا طاهر أحمد، الإمام الحالي للجماعة الإسلامية الأحمدية

إعداد: عبد المؤمن طاهر

حاربوا العنصريةَ بالأخلاق الحسنة

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يَسْخَرْ قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكنَّ خيرا منهن، ولا تَلْمزوا أنفسكم ولا تَنَابَزوا بالألقاب. بئس الاسمُ الفسوقُ بعد الإيمان. ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم، ولا يَغْتَبْ بعضُكم بعضا. أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه مَيْتًا فكَرِهتموه، واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (الحجرات: ١٢ و١٣)

ذكر أمير المؤمنين أن هناك اجتماعات كثيرة تعقد في هذا الأسبوع في مختلف فروع العالم منها مجلس الشورى لجماعتنا بألمانيا، ثم قال:

بمناسبة مجلس الشورى في ألمانيا سوف أقدم لهم نصحى خلال الخطبة، ذلك لأن أمير ألمانيا أخبرنى أن الجماعة هنا تنمو وتزدهر بسرعة، وهناك مسائل ومجالات كثيرة للتربية.. وقد قلت أشياء عن مجلس الشورى وألقيت الضوء على نواحى الشورى في الخطبة قبل الماضية، وهذه نصائح للجميع، ولا حاجة لإعادتها، ولكن هناك مسائل في ألمانيا لذلك سوف أتحدث عنها. إن جماعة ألمانيا في أوروبا، وتنتشر دعوتنا بها في شعوب كثيرة، لأن آلاف من الأوربيين يدخلون في الجماعة بألمانيا. ثم هناك أفارقة وأتراك وعرب وبنغاليون وغيرهم دخلوا في الجماعة ويدخلون كل سنة بعدد لا بأس به ويزداد ميلهم إلى الجماعة. واجتماع هذه الشعوب المتعددة يترتب عليه مسائل ولا بد أن أضع حلها أمامكم. ولذلك قرأت عليكم الآيات القرآنية من سورة الحجرات.

وبهذه المناسبة أنصح أن يشركوا في مجلس الشورى ممثلي هذه الشعوب وأن يوسعوا مجلسهم حتى يستفيدوا من التربية ويتعلموا أساليب الشورى في الإسلام: كيف تقدم المشورة، وما الشروط والآداب التى يتمسك بها المشير، وكيف تُقبل المشورة.

يقول الله تعالى في هذه الآية: لا يصح أن يسخر قوم من قوم غيرهم لأنه من الممكن أن يكون هؤلاء أفضل من أولئك الساخرين. فقوله ﴿عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ يعني أنه ليس من المستبعد أن يكونوا خيرا منهم، لأنهم على الأقل لا ينظرون إلى الساخرين بمنظار العنصرية والاحتقار. ويعني أيضا أن هؤلاء الذين ترونهم أدنى منكم اليوم ربما يكونون خيرا منكم بالأمس.. لأن الدنيا لا تبقى على حال واحد دائما.. فلا تحتقروا الآخرين على ظن أفضليتكم عليهم.

إن فكرة التفوق في الأمم الغربية بسيطة ولكنها شديدة. فهم يرون أن الأبيض أفضل من الأسود، أو أن الألمانى مثلا أفضل من غيره. وللأسف أن في بلدنا باكستان أيضا تمييزًا شديدًا بين الشعوب وبين الأسر، وقد تركت هذه الأمور انطباعا سيئا في الهند عندما كانت هناك حركة تأسيس باكستان. كان المسلمون الباكستانيون يسخرون من الهندوس أنهم لا يعرفون القتال، ثم هُزموا على أيديهم فيما بعد هزيمة نكراء يخجل لها كل مسلم. وحدث نفس الحال في بنغلاديش عندما هزمت الجنود الهندوس قوات باكستان التى لم تكن لها شعبية في بنغلاديش. وقد نالت هذه القوات هزيمة شديدة على أيدى البنغال والهندوس حتى طردوهم، وصار اسم باكستان وصمة عندهم، ولم يكن هناك من يؤيد باكستان بل كرههم البنغال.. ذلك لأن الكراهية تولد الكراهية. والأمة التى تتعرض للسخرية تتفوق في وقت ما، وتتولد

الكراهية في قلوبهم. فسواء كان التفاخر بين الشعوب أو الأسر فإن عاقبته مؤذية.

السخرية على زعم التفوق أمر باطل. وقد بدأت هذه الأفكار ترفع رأسها في أوروبا، وأخذت العنصرية تشتد مرة أخرى. وعلى المسلمين الأحمديين في ألمانيا أن يجاهدوا ضد هذه العنصرية جهادا كبيرا.. الجهاد الذى سلاحه الأخلاق السامية العالية. بسيف مكارم الأخلاق سوف تفتحون القلوب. أما إذا تصديتم للعنصرية بالسلاح المادى فسوف تتضررون.. لأنها بذلك تشتد.

إن العنصرية تتعلق بالتفوق. عندما يشعر العنصريون أن في يدهم الغلبة ويستطيعون القضاء على الأقلية.. ثم يشهدون أن الأقلية حازت شيئا من الانتصار فإن العنصرية ترفع رأسها بقوة حتى تصير حربا تغطي المنطقة كلها. فلا تَدَعوها ترفع رأسها لأنها مرصد مهلك مدمر، وعائق شيطاني ضد تقدم الإسلام. في جو العنصرية لا تستطيع الأخلاق السامية أن تزدهر وإنما ينفسح المجال لأشياء أخرى، وتتركز القوى في قطبين مختلفين، ولا تدع مجالا للمثل الدينية لتؤدي دورها. فالعنصرية مرض مهلك من كل النواحى.

والألمان يدخلون في الإسلام- وهذا فضل من الله كبير نحمده عليه.. وكنت أخشى أن يكون هناك قطبان أحدهما ألمانى والآخر باكستانى في جماعتنا، ولكن الحمد لله تعالى أن مثل هذا الخطر قد زال. ففي الاجتماع الماضى أخبرنى الأمير أن عددا قد دخل الجماعة من الأفارقة والعرب، وأن خطر الأقطاب قد زال.. فلا يقول أحد أن فلانا باكستاني وفلانا أفريقي. بدخول شعوب متعددة في الجماعة زال خطر قطبين.

لكن هذا التغير قد حدث بسبب تغير الظروف، أما أنا فأقدم لكم تعليما قرآنيا يعلمنا أنه مهما كانت الظروف لا تدعوا للعنصرية مجالا لترفع رأسها، وأن يكون الأساس لذلك هو تعليم القرآن، والنصائح التى وردت في القرآن بكل عظمة وشأن. تمسكوا بهذه النصيحة في كل الظروف، سواء أكانت العنصرية من جانبكم أو من جانب الآخرين. إذا كنتم عاملين لتحقيق السلام فلا تتركوا العنصرية تقترب منكم، فهي سم مضاد للروحانية.. ولا يمكن أن تنمو الروحانية أبدا في جو من العنصرية.. إذا دخلت العنصرية خرجت الروحانية، وإذا تمكنت الروحانية خرجت العنصرية. فلا تسمحوا مطلقا للعنصرية أن تدنو منكم.

ولذلك أنتم بحاجة إلى بعض المثل الأخلاقية، ولستم بحاجة إلى تقديم الأدلة.. لأن هذا المرض لا يعالج بالحجج والأدلة وإنما يزول بالخلق الكريم. مهما بذلتم من جهد ومحاولة فلن تفلحوا إلا بهذا الأسلوب. كانت هناك أفكار عنصرية ضد اليهود في ألمانيا.. وأخذت تنمو حتى تحولت إلى النازية. هذه العنصرية استمرت ثم ماتت وبقيت لها بعض الآثار، وقد حاولت الحكومة الألمانية أن تقضي عليها بالأدلة والحجج، وأخذت تعلم الشعب الألمانى نبذ العنصرية، ولكن رغم كل ذلك بعد هدم سور برلين عادت العنصرية مرة أخرى.

لذلك أقول أن العنصرية لا يُقضى عليها بالأدلة وإنما بالأخلاق. فازدادوا تمسكا بمكارم الأخلاق، وقاوموا العنصرية بحسن الخلق. من ميزات جماعتنا أنها بفضل الله تعالى تمتلك هذه النعمة كفطرة ثانية.. فالأحمديون السابقون يحبون من جاء إليهم من الشعوب الجديدة حبًا شديدا، وهذا ما يجعلهم أقوياء أمام سموم العنصرية. أظهروا للإخوة الجدد محبتكم القوية هذه، وحافظوا عليها ونموها حتى يزدادوا محبة لكم، وحتى تتقوى أواصر الحب والأخوة بينكم. وما دامت هذه الأواصر قوية لن تجد العنصرية لها فرصة لترفع رأسها بينكم.

إن لي تجارب شخصية كثيرة.. فقد دخل الأحمديةَ الكثير من أبناء الشعوب المختلفة، وعندما أحسوا بمحبتى لهم زالت منهم هذه الآثار العنصرية كأنما استؤصلت تماما واجتثت من جذورها. وكانت وجوههم تنبئ بهذا التغير الذى قد تم في قلوبهم. زال ذلك التوتر الذى كان يبدو في وجوههم من قبل، وتحول إلى محبة وابتسام من وجوههم. ترى ذلك التوتر في ملامح المصاب بالعنصرية. عندما تقابله وتروي له قصة مضحكة فإنه يضحك ومع ذلك لا يزول التوتر من وجهه. ولو وقع نظره على خطأ صغير من جانبكم لازداد توتره وتحول إلى غضب. يتطلع إليكم بعين ناقدة شديدة، ويناديكم بالقول اللاذع القاسى. آثار العنصرية ترونها في الوجوه. لا يمكن إخفاء العنصرية. المحبة لا تخفى أماراتها، وكذلك الكراهية لا تستتر علاماتها. إنهما حالتان لا

يمكن أن يخفيهما الإنسان عن العيون مهما حاول. إذا تمكن من سترهما مؤقتا فلا بد أن تفلت منه ما يدل عليها فيما بعد.

ففي مجالس الشورى.. فكروا في ما هي الأخلاق السامية التى ينبغى أن تتحلوا وتتمسكوا بها، وما هي الخدمات التى يجب أن تقدموها وتعطوها الأولوية، وما هي الوسائل التى تقوّي الروابط بينكم.. حتى تسدوا كل منفذ يمكن أن تتسرب منه العنصرية إلى جماعتنا.

وفي صدد المؤاخاة أذكركم بأن مؤاخاة الإخوة الأحمديين في ألمانيا لإخوانهم البوسنيين تعطي آثارًا طيبة. وليس هناك أي خطورة عنصرية من جانب الإخوة البوسنيين. وأنتم تقومون بهذه المؤاخاة تأسيا بما قام به المسلمون الأوائل.. عندما تآخى الأنصار والمهاجرون في المدينة. إن هذه المؤاخاة التى بدأت في ذلك الوقت بين المسلمين هي التى أزالت العنصرية من قلوب المكيين.. إذ كانوا من قبل يحتقرون أهل المدينة، ويصفونهم بأنهم قرويون يزرعون الخضروات. ولكنكم رأيتم كيف أن هؤلاء الفلاحين أعطوا كل شئ لمن كانوا يحقرونهم.

إذا أردتم القضاء على العنصرية فتآخوا مع الأحمديين الجدد.. دون أي تمييز بين لون أو جنس. يجب أن يستفيد الأفارقة من علاقة المؤاخاة كما يستفيد منها الأحمديون الألمان والألبان وغيرهم من الأوربيين الشرقيين. يجب أن توسعوا دائرة هذه المؤاخاة.

وأقيموا المؤاخاة بحسب ما تسمح به الظروف. لقد تفرقت هذه المجتمعات الأوربية وتباعدت فيما بينها وقلّت المبادئ الإنسانية، وانقطعت الروابط التى كانت بين الناس. وعندما تحبون أحدًا منهم وأنتم لستم من أهله، فهذا وحده يعتبر مؤاخاة له. هناك كثير من الأحمديين يوسعون دائرة نفوذهم بهذا الحب القليل أيضا. يدعونهم مثلا لتناول الشاي في بيتهم، وهذا المدعو ليس بحاجة إلى الشاي ولكنه يلبي الدعوة متعجبا كيف يدعوني ونحن عندما نتناول الشاي مع إخواننا الآخرين يدفع كل واحد ثمن ما شرب من جيبه. وكذلك عندما تدعونهم إلى الطعام، يقبلون الدعوة عموما. هذه الدعوات تعتبر مؤاخاة. إذا دخلوا بيوتكم ورأوا منكم حبًا فإنهم يفتحون لكم قلوبهم. وهكذا إنكم بعطاء صغير سوف تجنون ثمارا كثيرة من المؤاخاة.

والأمر الثانى الذى أريد توضيحه هنا أن الناس عندما ينظرون إلى أهل أوروبا ينظرون إليهم باحتقار، ويبحثون عن عيب فيهم، وينشرون الكراهية بسبب معايبهم هذه. وفي قوله تعالى ﴿عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ نصحٌ لنا أن نحاول إزالة العيوب التى في نفوسنا. وعلى وجه الخصوص القارة الهندية بها أمراض موجودة في كل شعوبها. فإذا حاول إخواننا الباكستانيون الموجودون في ألمانيا التخلص من هذه العيوب فهو خير لهم، وإن لم يفعلوا ذلك فسوف يجد الأوربيون فرصة لنشر العنصرية بينكم، ولسوف يسلون هذا السيف عليكم دائما. فعلى الإخوة الباكستانيين في ألمانيا أن يبحثوا عن عيوبهم ويعملوا على إزالتها. وعلى مجلس شورى ألمانيا أن يعدوا برنامجا واسعا بهذا الصدد. إنهم يعرفون ما هي العيوب الموجودة بينهم. لقد عينت لجنة للإصلاح والإرشاد في ألمانيا، وطلبت من كل البلاد أن يشكلوا مثل هذه اللجنة.. لتبحث هذه العيوب قبل أن تصبح سرطانا، ويحاولوا ويعملوا على شفاء المرضى. لقد اهتمت بعض الجماعات بنصيحتي هذه، ومن تقاريرهم عرفت أنهم يهتمون بهذا الأمر، ولكن كثيرا منهم لم يهتموا به. واللجنة في ألمانيا تعمل، ولكنها لا تعمل كما أريد. عليهم في مجلس الشورى أن يرفعوا اهتمامهم بهذا الأمر أكثر ويفكروا فيه بعمق.

لقد طلبت منهم أن يشكلوا اللجنة من أفراد عندهم فراسة وشعور قوي يشتمّ هذه العيوب حتى وإن كانت خفية لا ترى، ويتنبهون لخطرها. ولكنهم ينتظرون حتى ترفع رأسها. إذا انتظرتم هكذا ووقعت أحداث فلن تكون اللجنة للإصلاح وإنما إدارة شرطة. وإن مكتب الأمور العامة في جماعتنا ليس شرطة.

ألا ترون أن الفجر عندما يلوح لا تراه كل الناس، ويختلفون في ظهوره، ولكن أهل الخبرة يفصلون في الأمر. كذلك في حياة الأمم قد تلوح الأمراض في الأفق وتحتاج إلى العين الخبيرة لتتعرف عليها. لا تنتظروا حتى تحل بكم الأمراض، ولكن خططوا لملاقاتها. وهذا الواجب ليس من عمل اللجنة ولكن واجبها أن تحذر وتتنبه من الخطر وتضع الأمور

أمام اللجنة الإدارية المركزية. فربما تكونون في حاجة إلى المال أو ترتيب بعض الجولات ودعوة بعض المربين لمقاومة هذه الأخطار.

إن الذين هاجروا من باكستان قد أتوا معهم بكثير من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية التى تضر أفراد الجماعة فضلا عن الأضرار بسمعة الجماعة. إن غير الأحمديين يفعلون أي شئ، ولكن إذا فعل أحد من جماعتنا شيئا فإن غير الأحمديين هؤلاء يطعنوننا ويقولون: هل هذا هو الخلق الأحمدي؟ عندما يرون آلاف العيوب في أنفسهم لا يهتمون، ولكن إذا رأوا أي هفوة في الأحمدى صاحوا: أهذا هو تعليم الأحمدية؟ وهنا ينطبق عليهم قول سيدنا المهدى : إن قلوبهم معنا وتؤيدنا وإن كانت ألسنتهم تسبنا. إنهم يعرفون أن هذه الجماعة هي جماعة الأخيار ويجب أن تكون أعمالهم حسنة وتقواهم أكثر.

فعندما تقعون في مثل هذه الأمور فإن الأغيار يطعنونني، وعندما يصلنى الخبر يزداد ألمي لأن أهل الجماعة لم يخبرونى. إننى أتصل بمكتب الأمور العامة وأستفسر هل وقع هذا الحادث أم لا؟ وإذا كان الخبر صادقا، فأسألهم: لماذا لم تهتموا به وانتظرتم حتى يطعننى الأغيار؟ إن هذا يؤذيني أكثر.

ثم يقول الله تعالى: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب﴾.. لا يطعن بعضكم بعضا، ولا تتبادلوا بينكم ألقاب الهزء والسخرية ولا يسمي بعضكم بعضا بأسماء تحمل معنى الاحتقار. هناك شعوب تطلق على الشعوب الأخرى أسماء التحقير، وأهل الهند أكثرهم طعنا بأسماء سخيفة.

وقوله ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ يدل على أن القرآن يرى المسلمين جميعا إخوة بحيث لو آذى مسلم أخاه فكأنما آذى نفسه. وإذا أضررتم أحدا منكم فقد أضررتم أنفسكم ومجتمعكم. بكلمة (أنفسكم) أيقظ الله تعالى الإحساس بالأخوة. أتظنون أنكم تطعنون الآخرين.. لا، بل تطعنون أنفسكم. ولذا ألحقتم ضررا ببعض إخوانكم فلا بد أن تتضرر كل الجماعة، ومثل هذه الجماعة التى يشيع فيها ذلك لا يمكن أن ترتقي وتزدهر بل تضار وتعاني.

(خطبة الجمعة ٦-٥-٩٤)

العبادة الخالصة تؤدي إلى خدمة الخلق

قال الله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنُب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم. إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا* الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما ءاتٰهم الله من فضله. وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾ (سورة النساء: ٣٧ و٣٨)

تحدث أمير المؤمنين عن مجالس ودورات تربوية تُعقد في الأسبوع في مختلف فروع الجماعة في العالم. وقال عند حديثه عن مجلس الشورى في جماعة اليابان المنعقد في هذا الأسبوع:

إنها جماعة قليلة العدد ولكنها من ناحية الهمة والعمل جماعة كبيرة، وتتمسك بالحسنات بفضل الله بهمة وصبر. وهذه صفة ظاهرة فيهم، مع أن معظمهم من اللاجئين والباحثين عن العمل، وعاد بعضهم إلى باكستان وقلّ عددهم، ولكن لم تنقص جهودهم. أدعو الله تعالى أن يحفظهم ويرعاهم ويوفقهم للتقدم المستمر، ويعوضهم بالقادمين الجدد عمن غادروهم.. ينضمون إليهم بالتبليغ.

والجماعة في اليابان لا تكتفى بالتضحيات المالية فقط، ولكنها تقوم بالأعمال التربوية والدعوة. وقد أخبرونى أول أمس أنهم اجتنوا ثمرتين من ثمار الدعوة، وأدعو الله أن يستفيدوا من هذه الرياح الجارية بأمره. المشكلة في اليابان أن الجماعة هناك من حيث العدد والنفوذ كأنها غير موجودة، وقام العمل الآن فجأة. كان لنا هناك في البداية دعاية، ولكن المجتمع اليابانى لا قيمة لديه بالمثل الروحانية. ولذلك لم تثمر جهودهم.

وأريد أن أخبر اليابان عن رؤية لسيدنا الخليفة الثانى، أخبره الله فيها كيف تتم الدعوة في اليابان. رأى في الرؤيا أنه أخذ طائرًا ضعيفا صغيرا، وأرادت زوجته أن تطعمه، فطلب منها ألا تطعمه إلا قليلا لأن معدته ضعيفة ولا يستطيع أن يهضم. وهذه الرؤيا موجودة في صحفنا القديمة، ولا أتذكر تفاصيلها تماما.. ولكن مفهومها الرئيسي أن

اليابان لا يستطيعون هضم الدين.. فيجب أن يقدَّم لهم ما يستطيعون هضمه. ومن هذه الناحية ينبغى على الجماعة أن تتمسك بالصبر هناك، ويقدموا لهم الغذاء بالحكمة والتدريج والتمهل.

الآيات التى تلوتها تأمر بعبادة الله تعالى وحده بدون شرك، وبمعاملة الوالدين بالحسنى، وكذلك الأقارب واليتامى والمساكين والجيران القريبين مكانا أو صلة، والجيران الأباعد والأصحاب الذين يرافقونكم والمسافر والرفيق.. والله تعالى لا يحب المتكبر المتفاخر بما أنجزه. ويصف الله هؤلاء المتكبرين بأنهم يبخلون ويأمرون غيرهم بالبخل، ويخفون ما أنعم الله به عليهم حتى لا يسألوهم منها. لا يفعلون ذلك تواضعا وإنما خوفا من السؤال. وقد أعد الله للكافرين عذابا يلحق بهم الهوان.

توجهنا الآية أن نعبد الله عبادة خالية من الشرك، خالصة له وحده. وهي عبادة لا تؤدي إلى قطع الصلات مع الناس وإنما تؤدي إلى توطيد هذه العلاقات كنتيجة لحب الله تعالى. والعبادات التى تقطع الصلات بالناس ليست عبادة لله تعالى وإنما يعبد أصحابها ما سوى الله. الذى يعبد الله تعالى منزها عن الشرك نجد صفاته مذكورة في هذه الآية، وبهذه الصفات يعرف مدى إخلاصه في العبادة.. لأن الدنيا لا تعرف إخلاص من يعبد الله، ومدى تنزهه عن الشرك بالله، فالله تعالى هو الذى يعلم. ولكن لهؤلاء العباد علامات يعرفها الناس.

فمن صفاتهم أنهم يعاملون الآباء بالإحسان. الآباء من ناحية يعدون أربابًا لأن الإنسان يأتى إلى الدنيا عن طريقهم، ولذلك كان لا بد أن يذكر الله الآباء. وقد جعلهم في درجة عالية وأمر بالإحسان إليهم.

ينبه الله تعالى أنه إذا لم تقدروا تضحياتهم فأحسنوا إليهم على الأقل فقد تحملوا منكم كثيرا. يقول تعالى عن الأم أنها حملت جنينها ﴿وهْنًا على وهن﴾.. مشقة فوق مشقة. فالله تعالى لا ينكر إحسان الآباء للأولاد.. ولكنه يشير إلى نكتة في الفطرة الإنسانية.. فبدلا من أن يأمر الولد أن عليك بالإحسان إلى أبيك.. يقول: إذا لم تر فيما مضى إحسانا منهم فأَحسنْ أنت إليهم، ذلك خير لك.. وما هذه الإحسانات إلاَ اعترافًا وشكرا على الإحسانات الإلهية.. فإحساناته عليك لا تنتهي ولا تستطيع أن تؤدى حقها جميعا، فعليك أن تحسن إلى عبادى.. وفي هذا شكر لي على إحساني.

وما أقوله لكم ليس مجرد كلمات بل هو حقيقة. وقد وضح الرسول ﷺ هذا المعنى في كلماته حيث قال إن الله تعالى سوف يسأل بعض عباده ويقول له: كنتُ جائعا فلم تُطعمنى، وعطشانا فلم تسقنى، وعاريا فلم تَكْسُنى، وبلا ملجأ فلم تُؤوني.. وعندما يسمع العبد هذا يقول: يا رب أنت غنَي عن كل ذلك فأنت رب العالمين. متى حدث هذا؟ فيرد عليه الله أن عبدا من عبادى كان جائعا أو عاطشا.. فلم تسد حاجته.. فكأنك لم تطعمنى ولم تسقنى.

يوجه أنظارنا إلى أن الإحسان الحقيقي من الله تعالى.. فأنت لا تستطيع مكافأته على إحسانه، ولكن تحدثًا بهذا الإحسان ومحاولة لشكره أَحسِنْ إلى عبادي، وأول المستحقين لهذا الإحسان من عبَاد الله هم الآباء.. فجعلهم على رأس القائمة.

وبالنسبة للآباء لا توجد لسوء الحظ رغبة في خدمتهم.. وقد وقعت أحداث في الشرق أيضا حيث لا تعامل الأجيال الجديدة الآباء بالإحسان. وتقع بعض هذه الأحداث في جماعتنا أيضا. وهذه الأمور لا تتعلق بالأبناء وحدهم ولكنها تتعلق بالآباء أيضا، وسوف أوضح لكم هذه المسألة.

يجب أن نكون متزنين في هذه المعاملة، لأن بعض الأبناء يميلون إلى الآباء فلا ينصفون زوجاتهم، وينسون أن الله تعالى أمرهم بالإحسان إلى الآباء ولم يأمرهم بعدم العدل. الإحسان إلى الآباء لا يعني أن نظلم أحدا. ليس هناك إحسان يؤدي إلى عدم الإنصاف. إذا أحسنتم إلى الآباء بظلم الزوجات فقد خالفتم وعارضتم موضوع هذه الآية. يجب فهم هذا الموضوع جيدا. فالإحسان مرتبط بالعدل، وكل تعاليم القرآن توضح ذلك: ﴿إن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾.. فالله يأمرنا أولا بالعدل ثم بالإحسان. الذى لم يعدل لا يحسن. وبعد الإحسان تحدث عن إيتاء ذى القربى.. أي أعطوا الآخرين كأنهم من الأقارب.

أذكر هذه الأمور لأنى أتلقى رسائل من السيدات ومن الآباء ومن الأزواج ومن الأبناء.. يسألون ما هي حقوق الآباء؟ جاءتنى رسالة من أحمدية جديدة قالت: لقد ركز القرآن على الإحسان للآباء وإعطاء حقوقهم، وإن دخولي في الأحمدية شاق عليهم حتى ظننت أنى لا أؤدي حق أبوي وأرتكب ذنبا؟!. أفهمتُ

هذه السيدة بتاريخ الإسلام وذكرت لها حادثة الصحابى الذى كرهت أمه إسلامه وقالت له: لن أغفر لك يا بنى، وسأموت بحسرة وستحمل إثما طول حياتك لأنك لم تعامل أمك بالحسنى. فقال لها الابن كلمات الحكمة والإيمان: أنت أمي وحبيبتى، ولكنى أحب الله أكثر من الدنيا كلها.. وربي أحب إلي من كل الوجود. فإذا طلبت من أن أضحي بالله ورسوله من أجلك وخوفتنى من أنك ستموتين دون أن تغفري لي.. فوالله لو كان لك مائة روح وخرجت واحدة واحدة ما كنت لأتخلّى عن ربي ورسوله.

هذا هو حفظ المراتب. يقول الله تعالى: ﴿واعْبُدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾. أمام عبادة الله تعالى تتضاءل بل تنعدم كل علاقة دنيوية.

ثم يقول: ﴿وبالوالدين إحسانا﴾. كل معاملة لكم للوالدين يجب أن تكون إحسانا.. لوجه الله تعالى. وتذكروا أنه يأمركم بالإحسان إلى الآباء. ويجب -كما قلت آنفا- أن يتم الإحسان مع أداء حقوق الآخرين، ويجب أن تتمسكوا بالتوازن الدقيق. وإذا أصرت الأم على ظلم الآخرين.. فليس من المهم في هذه الحال أن تكون راضية عنكم، لأن التضحية بالعدل تعني في الواقع التضحية بالله تعالى.

لقد أمر القرآن الكريم ألا تتأففوا من الآباء إذا حدث منهم شئ في حقكم، أو لو اشتدوا عليكم فلا تتفجروا. تحملوا ذلك لوجه الله تعالى.. ولا تهضموا حقوقهم أبدا. ولكن هناك أبناء لا يهتمون بالآباء ويتمتعون بالزوجات والأولاد.. وهذه جريمة كبيرة.

فهذه القضية والحال هذه تتطلب إصلاحا بتوازن دقيق. المشكلة صعبة.. ولكن لو فكرتم فيها لوجدتم أن الأمر يتوقف على الأخلاق: حُسنا أو سوء. ذوو الأخلاق الحسنة لا تحدث عندهم هذه المشاكل. صاحب الخلق المتين لا يتوقع أن يكون واقعا في حرب بين حقوق الأم وحقوق الزوجة.

لذلك أحاول معكم من زمن طويل كي تعملوا على تصحيح أخلاقكم وتحسينها. لو حسنت الأخلاق حسنت المعاملات وحلت المشاكل. إن حسن الخلق هو الأساس لإحياء الأمم، وهو الأساس للاستحواذ على الأمم. لا يستطيع الإنسان أن يتغلب على الناس بالدليل والحجة والنقاش، بل إن هذه قد تؤدي إلى الفساد. بحسن الأخلاق يمكن أن تغزو الناس والبيوت والطرقات والمدن والبلاد. بحسن الخلق يمكن التغلب على الدنيا كلها. لقد تسلح الرسول ﷺ بعد الدعاء بهذا السلاح.. سلاح الخلق الحسن. فسواء كانت المشاكل أسرية أو اجتماعية أو حضارية.. يجب أن تتمسك جماعتنا لحلها بالأخلاق الحسنة.. وعندئذ لن تكون هناك أية مصاعب ولن تنشأ مشاكل.. لأنها سوف تنحل تلقائيا أمام إنسان يتحلى بحسن الخلق.. وكما يقول الشاعر: يذوب الندى أمام أشعة الشمس تلقائيا.. وهكذا تزول المشاكل أمام الأخلاق الكريمة تلقائيا.

الآن أعرض أمامكم بعض أقوال النبي ﷺ. عن ابن عمر عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيوّرثه». (صحيح البخارى، كتاب الأدب)

لقد أكثر جبريل في الوصية بالجار حتى ظنّ النبي ﷺ أنه سيجعل له نصيبا في الميراث. ويقول القرآن: ﴿والجار ذى القربى، والجار الجنب﴾. فالمعاملة بالحسنى حق للجار سواء أكان من الأقارب أو من غيرهم. وهذا تعليم لا يفهمه أهل الغرب إلا قليلا. فقد يعيش الجيران سنين طويلة، ولا يعرف الجار من إلى جانبه، ولا يحسن بعضهم إلى بعض. ولكن النبي ﷺ رسم علاقة الجار بجاره أنها تقوم على الإحسان، وبهذه الطريقة يمكن أن نفتح قلوب الناس للإسلام، حتى نصح النبي ﷺ أن تزيد السيدة شيئا من الماء في طعامها كي تهدى إلى جارتها شيئا مما صنعته.

هنا لو أن الجار تحدث مع جاره الإنجليزي مثلاً وتدخل في بعض مشاكله لتنفر منه الجار. ولكن إذا أهداه شيئا من الطعام في مناسبة كالعيد مثلا.. فلن يكون رد فعله هكذا. لقد أرسلت لي إحدى السيدات رسالة من ألمانيا وقالت أن لها علاقة طيبة مع الجيران، تأسست لأنها أهدت إليهم طعاما وقالت لهم: هذا طعام باكستاني أردت أن تذوقوه. فتأثرت الجارة، وجاءت إليها وزارتها وتحدثت معها ثم قرأت عن الإسلام. هكذا -كما قلت لكم- يمكن أن تفتح البيوت بالأخلاق الحسنة، ولسوف تُفتح الدنيا أيضا بهذه الأخلاق إن شاء الله. إن التعاليم والوسائل التى قدمها المصطفى ﷺ لا بد أن تفتح القلوب.

هناك رواية عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله

لا يؤمن! قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذى لا يأمن جارُه بوائقَه». (البخارى- كتاب الأدب)

أي لا يعد مؤمنا من لا يسلم جاره من شره ومضايقاته.

ولقد انتشر هذا المرض في هذه الأيام. وهو في الشرق أكثر منه في الغرب. هنا مشاكل من الجيران وإن كانت قليلة، ولكن وراءها تعصبات أخرى. في الحياة اليومية لا يتشاجر الجيران في بريطانيا، فكل منهم في دنياه، ولكن التشاجر يكون بسبب العنصرية. أما في بلادنا فهناك اتجاه للمشاجرات مع الجيران. وأحيانا يشتد الشجار ويستمر. وقد رأيت في لاهور الشجار بين الجيران.. يتبادلون السباب والشتائم، وتتواعد النسوة على اللقاء في معارك البذاء. كنت عندئذ أدرس في لاهور ورأيت هذا يحدث لشهور في جوار أحد الإخوة هناك. وقد تحيرت وسألت عنه، فقالوا هذا يحدث كل يوم.. والحي كله على هذا الحال.

هذه السيئات موجودة في مجتمعاتنا. إذا لم يحسن الإنسان إلى غيره تأسست علاقاته على الشر. والأمم التى لا تحافظ على حسناتها تتحول حسناتها إلى سيئات. إذا لم تحسنوا إلى الجيران فسوف تقعون فيما حذر منه الرسول ﷺ في هذا الحديث.. ولم يسلم الجيران من بوائق بعضهم.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (صحيح البخارى- كتاب الإيمان).

كما يتسع موضوع الإحسان في القرآن الكريم كذلك يتسع في حديث المصطفى ﷺ. فقد نصحنا بالإحسان إلى الآباء ثم الأقارب ثم الجيران ثم الإخوة الآخرين. إن هذه نصيحة صغيرة في كلماتها ولكن لا يمكن أن يقدم الإنسان في هذا الصدد نصيحة أفضل منها لإصلاح العلاقات الإنسانية ولحل المشاكل بين البشر. هذا تعليم رائع يؤثر في كل العلاقات الاجتماعية والدولية. إنها نصيحة لحل كل المشاكل. ترون السياسة في هذا العالم خالية من هذا التعليم تماما. إنهم يحبون لأنفسهم ما لا يحبون لغيرهم. وهذا يحدث أيضا بين الأقارب. إذا طلب المرء مشورة من أحد لا يكون المشير أمينا، ويقدم مشورة من منظار العداء وليس من الحب. يجب أن تفهموا هذه النصيحة وتطبقوها. إذا عملتم بها لأصبح مجتمعنا جنة، ولكنها تقتضي تخلقنا بالأخلاق الحسنة.

عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: كان النبي ﷺ لا يأنف ولا يستنكف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهما حاجتهما. (مسند الدارمى. باب تواضع النبي)

يحكي هذا الصحابى كيف كان النبي ﷺ يعامل الناس. هناك من يأنف أن يمشى معه رجل فقير فيبتعد عنه. وقد رأيت هذا في الحياة اليومية كثيرا.. فمثلا يسير الرجل في السوق.. فإذا اقترب منه رجل فقير بدت في حركاته الأنفة، ويلاحظ الناس أنه يريد الابتعاد عنه، ويُنهي الحديث معه ويتركه سريعًا. ولكن انظروا إلى مقام الرسول ﷺ وانظروا إلى هذا الصحابي الذى يرى حسن معاملة الرسول وسيرته، ويحكي كيف كان يتعامل مع الأرملة والمسكين دون أن يشعر الناس منه بأي أنفة أو استنكاف؟ يمشى معهم حتى يقضى لهم حاجتهم. كان ﷺ يرحب بمثل هذا العمل ويُقبل عليه. وهذا الجزء الأخير من الحديث على درجة عالية من الأهمية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ كان يقول: «شر الطعام طعام الوليمة: يُدعى لها الأغنياء ويُترك الفقراء. ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله» (صحيح مسلم- كتاب الطعام. صحيح البخارى)

ولقد رأيت في بلدنا باكستان- وفي البلاد الشرقية الأخرى وفي الغرب أيضا.. أنهم لا يدعون إلى الوليمة إلا من هم على صلة بهم. وقد أخذت هذه الظاهرة تزداد في بلادنا فيقيمون الولائم ولا يدخلها فقير. ولا يدعون الأقارب إذا كانوا من الفقراء حتى لا يجدوا بهم معرة أمام الأصحاب الغرباء. وولائم الفقراء تختلف عن ولائم الأغنياء. فهم لا يدعون الفقراء والفقراء لا يدعونهم. وقد وصف الرسول ﷺ هذا فقال شر الطعام طعام الوليمة إذا دعيَ لها الأغنياء وترك الفقراء. ومثل هذه الولائم تقام عند الزواج.

ثم قال بعدها قولا عجيبا: «ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله». فمن يرفض الحضور في الوليمة فقد عصى الله ورسوله. وهذا موضوع واسع لا يفهم إلا بربطه مع المواضيع السابقة التى ذكرتها.

فأي الولائم هذه التى يتحدث عنها الرسول ﷺ؟ في هذا الجزء الأخير من الحديث يشير المصطفى ﷺ إلى ولائم الفقراء. إنه يقول أولا أن الولائم التى يقيمها الأغنياء ولا يدعون إليها الفقراء هي شر الولائم، ثم يتحدث عن الولائم التى يقيمها الفقراء ويدعون إليها الأغنياء ويقول أنهم إذا لم يلبوا دعوتهم فقد عصوا الله ورسوله.

ولذلك نصحت لكم في السنوات الماضية أن تساعدوا الفقراء في زواجهم وتحضروا ولائم الفقراء. اذهبوا إلى بيوتهم وساعدوهم في إعداد الطعام والترتيب والنظافة وشراء ما يلزمهم ولا يستطيعون شراءه. وهذا لا يمكن تحقيقه إلا إذا زاروهم في منازلهم ورأوا فقرهم. إن القلب لا يذوب بالسماع ولكن إذا رأت العين تأثر القلب وذاب.

ترون كيف أن نصائح الرسول عميقة ذات أثر بعيد المدى. والحقيقة أن الفقير إذا حضر ولائمكم ورأيتم ثيابه الرثة العتيقة فلا بد أن تتأثروا. إذا كان بكم مشاعر الإنسانية لتأثرتم وندمتم على إهمالكم لهم.

عن أنس رضي الله عنه أن رجلا من البادية كان اسمه زاهر بن حرام، وكان يُهدي للنبي ﷺ هدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ بشيء إذا أراد أن يخرج. فقال النبي ﷺ: إن زاهر باديتنا ونحن حاضروه. وكان النبي ﷺ يحبه. كان رجلا دميما فأتى النبي ﷺ يوما وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال: أرسِلني، من هذا؟ وجعل يلصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه. وجَعل النبي ﷺ يقول: من يشتري هذا العبد؟ فقال الرجل: يا رسول الله، إذاً والله تجدني كاسدا. فقال النبي ﷺ: لكنك عند الله لست بكاسد. وقال: أنت عند الله غالٍ».

(شمائل الترمذى- صفة مزاج رسول الله ﷺ)

كان البدوى يبدي حركات المحبة نحو الرسول ﷺ كما يفعل الطفل مع أمه أو الهرة مع صاحبها.. وكان النبي ﷺ يتقبل ذلك منه. ولما مازحه الرسول وقال من يشترى هذا العبد.. قال بتواضع مؤثر: إذًا تجدنى والله كاسدا.. ولكن الرسول ﷺ يرد عليه أن ثمنك غال عند الله تعالى وأنه سوف يشتريك. إن الناس لا يعرفون قيمتك ولكن الله يقدرك حق قدرك. هكذا يظهر من اختارهم الله لتجلياته حب الله تعالى ويوصلونه إلى العباد. فإذا أردتم وحاولتم أن تكونوا مثل ذلك، وتعلمتم الأخلاق من رسول الله ﷺ فإن الله يشتريكم، بل ويشترى عبيدكم بأغلى الأثمان. وسوف تتغلب قلوبكم على قلوب العالم لتوطيد حكومة المصطفى ﷺ. هذا هو الطريق الوحيد لإصلاح بيوتكم وطرقاتكم ومجتمعاتكم وبلادكم. إن الدنيا كلها بحاجة إلى هذا العلاج.. ليصبح غلمان الرسول ﷺ حقًا غلمانه، ويسحروا الناس بسحر أخلاق محمد ﷺ. وفقنا الله تعالى لذلك.

(خطبة الجمعة ١٢/٥/١٩٩٤)

﴿ويُطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا* إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾ (سورة الإنسان: ٩ و١٠)

حض القرآن الكريم -بعد عبادة الله تعالى- على خدمة الخلق، والحقيقة أن هذين الجانبين: عبادة الله ومعاملة الخلق بالحسنى- لهما المقام الأول في القرآن الكريم. وقد شرحت هذا الموضوع للجماعة مرارا وبينت أنهما ليسا منفصلين.. ولكنهما فرعان لشجرة واحدة. وكلما فهمتم موضوع العبادة وأديتم حقها كلما نما فيكم فرع المعاملة الحسنة مع الخلق، وينمو الفرعان معا.

قد يكون فرع العبادة سليما ناميا ولا ينال فرع المعاملة الحسنة مع المخلوق نفس النمو. وإذا حدث ذلك فإن موضوع العبادة يختل ويكون المرء غير قادر على فهم معنى العبادة، ومخدوعًا في ظنه أنه يعبد الله تعالى. ذلك لأن العابد الحقيقي لله لا بد أن يحب خلق الله تعالى. وهكذا فإن العبادة الصحيحة لها دخل كبير في حسن معاملتنا وتوطيدها مع الخلق. فيجب أن تخلصوا في عبادتكم، ويمكن التعرف على إخلاص العبادة بحسن المعاملة مع الناس. عليكم أن تحسنوا إلى المقهورين والفقراء. كلما ازداد إحسان المرء للخلق كانت عبادته مقبولة.

ولقد اخترت لكم بعض أقوال الرسول ﷺ في هذا الصدد. والأحاديث كثيرة ولا يمكن الإحاطة بها إحاطة تامة، وكلها تبين أهمية الصلة بين الإنسان وسائر الخلق. لقد تحدث الرسول ﷺ عن حسن الخلق في المرء، لأن الأخلاق تنشأ وتنمو في البيت، ثم تتسع هذه الدائرة وتصل إلى الجيران ثم تخرج درجة فدرجة، فمن الأقارب تنتقل إلى الأغيار. ويؤدى هذا السفر بكم إلى معرفة الإنسانية بمفهوم

جديد.. ومن كان (غيرًا) بالنسبة لكم يصبح (قريبًا) لكم. ومن يفهم هذا الموضوع فإنه يرى الأغيار ذوى قربى، ويحافظ على مصالح الآخرين ويؤثرهم على نفسه. إذا كانت علاقتكم مع الأهل قد تحسنت بسبب الرفق.. فيجب ألا تبقى في البيت فقط، بل يجب أن تتسع وتشمل الجيران والآخرين من أهل الحي والبلد بحيث تتسع هذه العلاقة ولا تقف دونها حدود. إنها علاقة تتجاوز المناطق والأماكن والأجناس والألوان حتى إنها لتتخذ صورة عالمية، وكأن العالم كله من الأهل والأسرة. وثمرة ذلك أن يتولد العدل الحقيقي. أما إذا كان الإنسان يفرق بين الأقارب والأباعد فإنه لا يستطيع أن يؤدى حق العدل، ولذلك وسع القرآن هذا الموضوع وأوصله إلى «إيتاء ذي القربى».. وهذا يعني أن المؤمن يبدأ في تعامله مع الناس بالعدل، ثم يرقى إلى الإحسان، وبعد اجتياز مراحل الإحسان يدخل في حدود معاملة ذوي القربى، ويرى الجميع على أنهم من أهله وذوي قرباه.

لقد شرح الرسول ﷺ هذا الموضوع فقال: «إن الخلق عيال الله» أو أن «الناس عيال الله».. وكلمة «العيال» ترادف «ذى القربى». إذا كان الخلق عيال له فلا بد من معاملة الجميع معاملة أهله وعياله.

هذا ما أريد شرحه للجماعة، على ضوء أحاديث الرسول ﷺ. وهو مرتبط بالدعوة إلى الله تعالى وتوحيد العالم على يد واحدة. ولكن عندما أرى إلى بيوتكم فإن قلبى يدمى، وأشعر أن كثيرا منكم لم يبدأوا هذا السفر بعد. هناك كثير من الأسر الأحمدية تسوء فيها المعاملات: فالأب لا يؤدى حقوق الأولاد، والزوجة لا تؤدى حقوق الزوج، والأولاد لا يبرون الآباء.. وليس عندهم من الأدب ما يعرفون به كيف يتكلمون مع الآباء. وتصبح مثل هذه الأسر نموذجا لجهنم. الأولاد يبتعدون عن الأسرة بطريقة يحتار المرء في فهمها، بل إن كلمة التحير لا تكفى.. تصلنى الرسائل فأرتعش من قراءتها. إحدى الفتيات تقول: أمي سيئة الأخلاق، وتؤذى أبي كثيرا طول حياتها معه. ومهما نصحتموني فلا أستطيع أن أدعو لأمي هذه. وفتاة أخرى تقول: لقد ظلم أبي أمي وظلمنا حتى أنه كان يسبنا في كل حديث له، ويقول: أنتم لستم أولادي.

إذا كانت هناك مثل هذه العلاقة في أسر أحمدية.. فكيف يمكن لنا أن نُحدث انقلابا عالميا. مثل هذه الأفكار في مثل هذه الأحوال تعد جنة من الأوهام. إذا كنتم فروعا من شجرة سيدنا المهدى فلا بد من قطع مثل هذه الفروع كما قال: لا بد أن تنمو تلك الشجرة وتخضر لتحيط بالعالم كله، وتأوي إليها الطيور الروحانية، وتجد فيها راحتها، وتتمتع بأزهارها وأثمارها. ولكن ثمة فروعا قد يبست، قال سيدنا المهدي عنها أنه يجب قطعها من شجرة وجوده.. ومأواهم جهنم.. لأن مصير الفروع اليابسة النار.

وعندما أرى هذه المشاهد يهولني مرآها وأرتعد. ولكني أعرف أن الأكثرية الكبرى من جماعتنا خالية من هذه المفاسد والشقاوة، ولكن كثيرا ممن ينتمون إلى جماعتا تنتشر عفونتهم فيما حولهم، ويطّلع الناس على سوء معاملتهم هذه وينسبونها إلى الجماعة.

يجب أن نهتم بهؤلاء أيضا.. ليس لأنهم يشهِّرون بجماعتنا وإنما لأنهم أيضا يستحقون الشفقة. كيف نرضى أن يكونوا حطب النار ونقول: دعوهم يحترقوا؟! لو كانت هذه أسوة الرسول ﷺ لاحترق العالم كله. فقد ذاب قلبه ﷺ وأمطر رحمته على كل واحد من مثل هؤلاء. وكلما رأى ذلك أطفأ نيرانهم، بل إن هدايته إلى اليوم تزيل هذه الشقاوة وتصلح المفاسد، وثمرةٌ لدعواته نشأت الأحمدية، وما ينزل عليها من أمطار الرحمات إنما ينزل بسبب دعواته ﷺ وتطهرنا. لذلك لا بد أن نهتم بأسوة الرسول.

لا بد أن نراقبهم بأنفسنا ونضع عيوننا عليهم. وعلى اللجان التى عينتها لهذه المهمات أن تنشط، ويهتموا بهذه البيوت التى تطرق إليها الفساد، ويقدموا لهم النصح برفق.. لتعود الجنة إلى بيوتهم. وأعنى بذلك أن تدخل أسوة المصطفى ﷺ إلى هذه البيوت. إذا كانت هذه الجنة هي أسوة المصطفى ﷺ فلا بد أن تتسع هذه الجنة وتعم الجميع. إنها رسالة هامة. لا تكتفوا بكلمة النصح وبالحماس المؤقت.. بل عليكم أن تجاهدوا بالأخلاق. والجهاد بالأخلاق هو الجهاد الكبير. عليكم أن تحاولوا إنقاذ هؤلاء. وإذا لم تتمكنوا من إنقاذهم، أي لم يقبلوا جهودكم، ويحكم قدر الله تعالى ألا يُقبلوا.. فاذكروا قول سيدنا المهدى بضرورة قطع هذه الفروع. لا تتحملوا هذه الفروع

اليابسة، بل أقلعوها كي تسرعوا في هذا السفر. ولكن قبل أن تصلوا إلى مرحلة قطع الفروع اليابسة ينبغي عليكم أن تصبروا وتتريثوا.. وتبذلوا الجهود.. برفق لا خشونة فيه، ولين لا شدة فيه، بل ادعوهم بالحب حتى يصلح الله أعمالهم. ونسأله تعالى أن يصلحهم. أما إذا لم يتم ذلك فلا بد من قطع الفروع اليابسة.. إنها عضو مفلوج يجب بتره وإلا أضر بالأعضاء الأخرى الصحيحة.

نستطيع أن نتعرف على نوعية المجتمع الذي أنشأه الرسول ﷺ وأقامه.. بالنظر في أقواله ونصائحه.. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا نساء المسلمات لا تحقرنَّ جارةٌ لجارتها ولو فِرسِن شاة» (البخارى- كتاب الأدب)

ينصح النبي ﷺ المرأة المسلمة أن تهدي لجارتها أي شئ.. ولا تستقل شيئا حتى لو كان مرقًا من كارع شاة.

الأصل في الهدية عمومًا أن المرء يقدم شيئا لنظرائه ومن هم أعلى منه. ولكن القرآن قدم نصيحة هامة في هذا الصدد.. أن تذهب الهدايا أيضا إلى من هم أدنى منكم درجة. إذا اقتصرت هداياكم على من كان في درجتكم كانت هذه الهدايا لأنفسكم وليست لوجه الله. تقول الآية التى تلوتها عليكم: ﴿ويُطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا* إنما نطعمكم لوجه الله.. لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾.فالذين يطعمون الآخرين الطعام لوجه الله تعالى فيهم صفتان: أنهم يطعمون الطعام لوجه الله وحبًا له، أو أنهم يطعمون الطعام وهم محتاجون إليه. وهذان المعنيان هما في الحقيقة معنى واحد.. لأن الإنسان يؤثر على نفسه أحدا إذا كان يحبه وإلا فلا معنى للإيثار. لا تصور للإيثار بدون الحب. لماذا تؤثر الأم ابنها على نفسها؟ لأنها تحبه. المحب يؤثر حبيبه بسبب حبه. فالإيثار لها علاقة لا تنقطع بالحب: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾.. لحبنا له.. لا نريد من أحد غيره جزاء أو شكورا. لقد أخذنا المكافأة ممن أنفقنا لأجله.. فلا مجال لشكركم أو التفكير فيه.

هذا الموضوع دقيق، ويفتح مجالا آخر للتفكير: ذلك أنكم إذا خدمتم الإنسانية رغم احتياجكم إلى المال، فذلك لوجه الله تعالى ولحبه. تخبرون الناس أنكم لا تحسنون إليهم، وإنما الإحسان من الله إليكم وإلينا.. فلا نريد منكم جزاء ولا شكورا. فالمحسن الحقيقي هو الله تعالى. هو المحسن إليكم وإلينا. إنه على درجة كبيرة من الأهمية أن يدرك الإنسان ذلك.. ومثله كمثل الخادم الذى يحسن إلى فقير فيشكره.. فيقول له: لا تشكرنى، إنما الشكر لسيدى الذى أمرني بذلك. ما أنفقت عليك إلا بأمر منه، وما أنفقت عليك إلا من ماله.

بذلك يتوجه التفكير إلى السيد بدلا من الخادم. وهكذا ترتبط هذه الآية بكون الله «رب العالمين». وقد قدم الرسول ﷺ نفس هذا النصح، وكان ذلك عرفانا منه للقرآن المجيد. هذه الأحاديث النبوية التى هي نصائح رائعة تحدث هذا الانقلاب. لا تكفى قراءة القرآن وحدها إلا إذا كان الإنسان يقرأ القرآن بعين عارف بالله. والرسول ﷺ هو أكثر الناس عرفانا لله تعالى وإدراكا لمعانى القرآن. وسوف تتلقون العلم والمعرفة من الأحاديث إذا ربطتم بينها وبين آيات القرآن المجيد.. وعندئذ ترون عالما جديدا من المعاني. يقول ﷺ: أقيموا علاقاتكم بالجيران ولو بإرسال كارع شاة إليهم. وكأنه يقول: ألا تستطيعون أن تهدوا إلى الجارة ولو فرسن شاة. لا يعنى ذلك الاكتفاء بإرسال فرسن، ولكنه يقول: إذا لم تستطيعوا أكثر من ذلك فأرسلوا فرسنًا على الأقل. وإذا لم تفعلوا دل ذلك على أنه لا إنسانية فيكم.

هذا هو التعليم الذى يجب أن نعممه ونوسعه، وأن تتحسن العلاقات بين الأب وابنته، والزوج وزوجته وبين الأقارب بعضهم بعضا بفيض الرسول ﷺ.. ذلك الفيض الذى لا يُحد، لأنه كان رحمة للعالمين، ولا بد أن يخرج الفيض من جدران البيت ويصل إلى الجيران. لقد أخبرتكم في الخطبة السابقة أن أداء حقوق الجيران هام جدا، وبينت لكم أنكم إذا أردتم الدعوة في أوروبا فيجب أن تؤدوا حقوق الجيران. لا تكتفوا بإلقاء السلام أو رده على الجار أو النصح فقط.. بل يجب أن ترسلوا لهم الهدية حتى تجعلوهم يفكرون في أمركم ويخرجون في البحث عنكم. وهكذا تتحول النعمة الظاهرة إلى نعمة باطنة، ولن يقتصر الأمر على الهدايا الظاهرية بل تُعدون قلوبهم لتلقي الهدايا الروحانية.. ألا وهي الإسلام.

فالإحسان إلى الجيران عمل هام يكسب المرء حسنات أخرى. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت». (البخارى- كتاب الأدب)

ثلاثة نصائح يقدمها الرسول ﷺ.. يذكر فيها الإيمان بالله واليوم الآخر، ولم يذكر أركان الإيمان الأخرى من رسل وكتب وملائكة.. واكتفى بذكر أولها وآخرها، ذلك أن الذى يؤمن بالله تعالى ويفكر في اليوم الآخر لا يمكن أن يتغافل عن نعمه، بل يعرف أن الذى يعطي لا بد أن يحاسب على كل شئ. لن يسأل: ماذا أعطيتموني، ولكنه يسأل ماذا أعطيتم لعبادى وخلقي.

ثم يقول: ومن كان يؤمن بالله الآخر فليكرم ضيفة. هذه نصيحة أيضا عجيبة، لأن الإنسان عادة لا يحتاج إلى نصح إكرام الضيف. المضياف يكرم ضيفه والبخيل لا يستضيف أحدا. ومعظم الناس يكرمون الضيوف، ولكن الرسول يتحدث عن إكرام آخر.. وليس عن الضيافة العامة. وهذا الموضوع مرتبط بقوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتميا وأسيرا﴾.. يفعلون ذلك لوجه الله تعالى رغم ضيق ذات اليد، ويطعمون اليتامى والمساكين والأسارى.

قد يأتي الضيوف من البسطاء إلى بيوتكم، وهنا اختبار لكم. إذا نظرتم إليهم باحتقار، ورأيتم أن تتخلصوا منهم بأسرع وقت.. كان ذلك الخلق السيّء إثما، ولا يكون طعامكم ضيافة. إن الرسول ﷺ يدعوكم إلى ضيافة هي من الخُلق العظيم، الذى لا يعتمد على علاقتنا بالناس، وإنما يتأسس على علاقتنا بالله تعالى. إذا اتسعت دائرة معاملاتكم لحبكم لله فإن موضوع الآية ينطبق على حالكم.

ولقد وضح الرسول ﷺ هذا الموضوع في حديث طويل.. فقد جاءه صحابى ذات صباح فسأله النبي ﷺ: ماذا فعلت البارحة حتى فرح الله تعالى بعملك وضحك حتى أنزل عليّ قرآنا ﴿والذين تبوأوا الدار والإيمان يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أُوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾. وعندما سمع الصحابي ذلك تحير لأن هذا نفسُ ما جرى في بيته الليلة السابقة. فقد جاء ضيف إلى الرسول ﷺ، وكان ذلك زمن شدة وفقر على المسلمين، وكان النبي ﷺ أحيانا لا يجد في بيته ما يقدمه ويعطعمه الضيف، فكان يوزع ضيوفه على الصحابة، ويعلن ذلك في المسجد ويسأل من يستضيف هذا الرجل. ويبدو أن الضيق كان شديدا في تلك الفترة، ولذلك لم يتقدم لاستضافة هذا الرجل إلا صحابي واحد. فذهب به إلى البيت وكان يعلم أنه يملك طعاما يكفى الأولاد فقط. فألهمه الله تعالى حيلة، وأخبر زوجته أن الرسول ﷺ وهبنا نعمة عظيمة وأرسل معى ضيفا لله تعالى، وأعرف أن الطعام قليل، فنَوِّمي الأولاد، وعندما يحضر الضيف أطفئ السراج حتى لا يرى كمية الطعام. وحضر الضيف، وفعلت الزوجة بوصية زوجها، وأخذ الضيف يأكل، وهما يتظاهران بالأكل، ويحدثان صوتًا يشبه الأكل. وأكل الضيف ولم يتناولا هُما شيئا. لقد أُلهم الرسول ﷺ بتفاصيل هذا الحادث وسُجّل في القرآن.

يقول القرآن: ويطعمون الطعام على حبه.. مسكينا ويتيما وأسيرا. إنما نطعمكم لوجه الله.. إنهم لا يفعلون ذلك بسبب علاقاتهم الاجتماعية بالناس، وإنما يستضيفونهم لوجه الله تعالى، ولا ينظرون هل الضيف خطير أو صغير.. ولكنهم يرونه ضيف الله وضيف الرسول وضيف الإسلام. فإذا قمتم على خدمة الضيوف من هذا المنطلق فسوف يربطكم الله بمفهوم هذا الحادث. إن اسم الصحابى لم يذكر في هذا الحادث، ويمكن أن يطبق على أي إنسان، فيشارك في هذه البركة الذين لهم مثل هذه الأخلاق.

فإذا تأملتم بحب واهتمام في نصح الرسول ﷺ الذى قدم لنا فسوف تتحيرون. لو فكرتم في أحوال الأنبياء جميعا لوجدتم أنهم لم يصلحوا أخلاق أممهم بالقدر الذى أصلح به المصطفى ﷺ أخلاق أمته. لو جمعتم تعاليم الأنبياء كلهم ووضعتموها في كفة، وفي الكفة الأخرى نصائح الرسول ﷺ لرجحت كفته رجحانا عظيما. ويجب على من يسمع هذه النصائح أن يصلحوا أخلاقهم بحب الله تعالى وبحب الرسول ﷺ.. ويصلحوا أخلاق بيوتهم وأزواجهم وبناتهم وأبنائهم وجيرانهم.. بحسن الأخلاق وليس بالكلمات الفارغة.

(خطبة الجمعة ليوم ٢٠/٥/١٩٩٤، الموافق لـ ٩ ذى الحجة ١٤١٤ هـ يوم عرفة)

ضرورة الدين

ملخص عن خطاب لسيدنا مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه الخليفة الثاني لسيدنا المهدى والمسيح الموعود، ألقاه في مدينة لاهور، باكستان، أمام جمع حاشد ضم أساتذة الجامعات وطلابها، وذلك قبل نيف وسبعين سنة. وقد سبق نشره في مجلة «نقد الأديان» (أغسطس وسبتمبر في عام ١٩٢٠م).

هل نحن بحاجة إلى الدين؟ سؤال له أهمية كبرى. وقبل أن نتطرق إلى تفاصيله يجب أن نعرف بوضوح: ماذا نعني بالدين؟ وكذلك يجب علينا، مهما كنا، أن نتذكر كوننا في المقام الأول بشرًا. وللمرء أن يتساءل:هناك خلق كثير في أروبا وأفريقا وأمريكا، وهم أيضا مثلنا من حيث الفطرة الإنسانية؛ فما الفرق إذًا بيننا وبين الآخرين، وما هو الأساس ومصدر هذا التقسيم؟ وهل يعود هذا التفريق علينا بطائل، وهل يرجع هو الخلاف إلى تباين بلادنا وأعمالنا ونظام الحكومات المختلفة التي نعيش تحت إشرافها؟

البحث يدّل على أن هذا الفرق لا ينجم عن التباين المذكور ولا عن اختلاف القومية، وإنما ينسبه الناس إلى اختلاف الأديان ويعلقون على اختلافها أهميةً أكثر من اختلاف الأقوام والدول. إن هذا الاختلاف ليس طبيعيا كاختلاف عنصرنا ولوننا وأمزجتنا وبلادنا، وإنما هو اختلاف مصطنع لا أساس له. وعلى الرغم من ذلك لا يزال الناس يضحون بجميع مصالحهم لإبقاء هذا الاختلاف غير الأصيل وهم يصلحون مرّة ويفسدون أخرى باسم الدين- ناهيك عن الفظائع الرهيبة التي ارتُكبت باسم الدين.

لقد علقّ أمريكي تعليقًا بارعًا وصائبًا إذ قال: «لو أمكن تجريد الإنجيل من ملحقاته المقدسة فسيبقى القليل الذى لن يتبعه كثير من الناس».

إنّ هذا التعليق يحمل قسطًا كبيرا من الصدق. ولا شك أن أشد الجرائم وأفظع الاضطهادات، وأبشع الانتهاكات للحرمات وأفحش الكلام إنما هي تلك التى قد اقتُرفت تحت عباءة الدين، وتاريخ الكنيسة المسحية شاهد على ذلك، إذ أحرق الكاثوليك البروتستانتَ، وكذلك حدث العكس. وتقشعر الجلود من ذكر الاضطهادات غير الإنسانية التى تعرض لها الناس تحت إشراف حكومات ومحاكم تابعة للكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وتحّملها الناس إلى مدة طويلة لأنها كانت تُرتكبّ باسم الدين.

وما اقتصرت هذه الفظائع على المسيحية فحسب، بل يوجد بين المسلمين أيضًا أمثلة من المظالم الرهيبة التى وقعت أثناء الحروب الأهلية. الفتاكون غِيلةً في أيام السلطان صلاح الدين الأيّوبي- وهم معروفون بالمغامرة والقتل بدون مبرّر، كانوا مندفعين إلى هذه الأعمال السيئة على الأغلب بسبب ما يسمّى الحماسُ الدينى. وفي هذا الصدد يذكر المرء ما حدث أيام حكم الهندوس في الهند بحيث إذا تصادف أن سمع شودر (وهو فرد من الطبقة السفلى في المجتمع الديني الهندوسي) تلاوة البرهمن (فرد من الطبقة العليا من المجتمع الديني الهندوسي) للفيدا (الكتاب المقدس للهندوس) كانوا يعاقبونه بإدخال قضيب من حديد ساخن في أذنه. وكذلك لا ينسى الإنسان الحروب الدموية التى أدت إلى نفي أتباع البوذية من الدولة الهندوسية.

فإذا طالع الإنسان الدّين بنظرة خاطفة، يظهر له الدينُ كشيء مخيف للغاية من خلال القتل الكثير والحروب الطويلة التى خلقت في الناس صفات بهيمية. وللمرء أن يتساءل: أليس للصورة جانب مشرق؟ وهل يستطيع الدين أن يُقدم شيئا مقابل الفظائع التى ارتكبت باسمه؟

هذا السؤال غاية في الأهمية، وجدير أن يتأمله كل لبيب. إن العصر الحاضر هو أكثر العصور ملائمة لهذا البحث، لأن الدنيا الآن مكشوفة للجميع، ولأن فرصة الاتصال بين مختلف الأقوام والشعوب قد ازدادت بظهور مخترعات جديدة للاتصالات والإعلام وانتشار الكتب، وقد ازداد التعارف بين مختلف الأديان على نطاق واسع.

ويتطرق إلى أذهان الناس سؤال، عما يسبب لهم التباعد عن بعضهم البعض، وعمّا يفرقهم في معسكرات متحاربة متعادية؟ وإن الخبرة المعاصرة المكتسبة من علم الأديان والأساطير وعلم طبقات الأمم وعلم التاريخ أيضًا قد لفقت الأنظار باضطراد إلى نفس السؤال. وقُدّم لذلك عدد من التحليلات المتعلقة بمفهوم الدين. ومنها: أن الدين ليس بشيء يذكر وليس فيه شيء جذابٌ.

أما الذين كانوا غاية في الذكاء-حسب زعمهم- فقد قالوا بأن هذه الدعاوي العديدة والغربية ليست إلاّ أساطير بالية، لأننا نرى اللاأدرية سائدة في جميع النواحي. وقد نسي الدعاة المسلمون تطبيق الإسلام وتعاليمه في حياتهم، وكذلك لا يختلف الهندوس وغيرهم حالاً في هذا الشأن. إنهم إمّا انقطعوا عن الإيمان بديانتهم أو توافقوا فيما بينهم ولم يبالوا بأديانهم على الإطلاق.

وينقسم المنقطعون عن الإيمان بأديانهم إلى قسمين: المفكرون المتقدمون الذين تمنّوا أن يخترعوا دينًا واحدًا كونيًا. وكانوا «أذكياء» إذ أرادوا الانتفاع من الحياة تحت نظام اجتماعي. إنهم مازالوا ينتظرون وقتًا يخرج فيه الناس عن طاعة الدين ويجتمعون تحت لواء الإنسانية المشتركة.

والقسم الثانى يتكون من العَمَليين الذين رأوا تقسيم الناس إلى معسكرات متنافسة مفيدًا لحياتهم وتقدمهم، وقرروا أن التقسيمات المختلفة كالفرق المختلفة من اللاعبين المتسابقين، وأن المنافسة تؤدي إلى التفوق والتسابق لصالح البشرية.

أما فئة المفكرين، فقد أبدوا رأيهم بأنه سيتم التخلص من الدين في نهاية الأمر. فقط علينا أن نصبر قليلا. وعلينا أن لا نكون جُبَناء في أيه حال، فيفلت الأمل من أيدينا، بل علينا أن نتصدى للمشكلة ونبحث عن الحل المقبول في نهاية المطاف. إذا كان الدين بلا جوهر حقيقي، فعلينا أن ننبذه مرة واحدة لأن المثابرة عليه تعود بالعار علينا. ولكن إذا كان يحتوى على جواهر ثمينة فلا بُدّ أن نقبله بكل حماس ومن الصميم بنيّة صادقة وبجدّية.

أريد أن أزّودكم بحّل هذه المشكلة في محاضرتي اليوم. إنني متأكد من أن «المثقفين»، أي المتضلعين في العلوم الغربية، وكذلك «غير المثقفين» أي ذوي الثقافة الشرقية- كلهم على حد سواء بحاجة إلى حلّ هذه المشكلة ويتطلعون إليه باهتمام. وأنا كذلك على يقين أنهم قد بدأوا يُحسون بخطورة الموقف. ولطالما ظلت هذه المعضلة بلا عناية فأدت إلى ضياع كثير من الجهود والوقت.

أرى أن فئة المثقفين وقعوا في الخطأ السائد عند تفكيرهم. فهم عند تقديرهم أهمية الدين وجهوا أنظارهم إلى أمر واحد: هل يغدق الدين عليهم الأموال والثروة الدنيوية وسلتطها ورخاءها؟ ولا شك أن اتجاه تفكيرهم هذا في التقدير والبحث خاطئ وخطير. علينا أن نرى: هل يعطينا الدين ويزودّنا بالثمرات المقصودة منه. وليس من مقتضى الحق والحكمة أن ننبذه وراء ظهورنا لمجرد عدم تقديمه الأشياء المرغوبة لدينا، ولو لم تكن هذه الأشياء غاية الدين المنشودة. لن يرمي أحدٌ ملبسه لأنه لا يسّد جوعه؟ ولن يطرح طعامه لأنه لا يغطي بدنه. فلتقدير أهمية الدين ينبغى أن نعرف ما المراد منه؟ إن كان اكتساب متع الدنيا ورخائها هو المقصود من الدين فمن الواجب إذن أن نترك وننبذ دينًا لا يؤدّى إلى هذه الغاية.

وهكذا نصل إلى السؤال: لماذا نحتاج إلى الدين؟

يخبرنا الدين أن هناك خالقًا خلقنا، وهناك حكمة بالغة وغاية وراء خلقنا، وما جئنا إلى هذه الدنيا مصادفة. ويقول أيضا: إنه لا يمكن تحقيق هذه الغاية بدون معونة من الدين. ولذلك إذا تمكّنا من إقامة البرهان على أن هناك خالقًا وأن هناك غاية من خلقنا فعندئذ فقط سيتدو أهمية الدين، وإلا فإنه سيكون قليل الأهمية بالنسبة إلى الإنسان العملي.

أما المثقفون فالغالب عندهم أن فكرة الخلق التى تعرضها الأديان المختلفة تُناقض العلم.. الذى يقول أننا جئنا إلى الوجود من خلال عملية التطور.

ولكنى أرى أن إخواننا «المثقفين» هؤلاء قد تجاوزوا في استنتاجهم هذا حدودًا لا تجير الحقائق عبورها فليس ثمة تناقض بين التطور والخلق. فالجنين ينمو ويتطور في رحم الأم لتسعة أشهر، ولكن هذه الحقيقة لا تنفي كونه قد خُلق. لا شأن للدين لمسألة الخلق الفوري أو المباشر ولا بالخلق التدريجي أو غير المباشر. لا ينفي أيٌّ من الرأيَيْن وجود الخالق. فالمسألة إذَنْ: هل هناك خالق؟ ولاَ علاقة لهذه المسألة بموضوع الخلق الفورى أو المتدرج. إن كان هناك خالق فمن واجبه أن يخبرنا

عن الحكمة والغاية من خلقه لنا، وإن لم يفعل ذلك لترتّب على ذلك: إما أنه ليس هناك خالق أو إذا كان موجودًا فلا يهمنا وجوده شيئا.

من رأي أحد المفكرين الأمريكان أنه إذا كان موجودًا للزم أن تكون صلته بنا أقرب من آبائنا. أفلا نتساءل عماذا هو فاعلٌ من أجلنا؟

إن هذا المفكر يسعى إلى القول بأن الإنسان غير طاهر فلذا لا يستطيع أن يحقق أية صلة بالله سبحانه. إذ يمضى قائلا: أخبرونى إذن: هل ثمة في الناس طاهر؟

إنه سؤال طبيعي وارد. إن الله يظهر نفسه فعلاً للإنسان، وهناك سبيلان لذلك: إما أن يصل الإنسان إلى الله أو ينزل الله إلى الإنسان. والأول يكون بالأدلة القعطعية، وأما الثانى فبطريق الوحي الإلهي. يزودنا القرآن الكريم بأمثلة توضح هذين السبيلين. إنه يقدم الأدلة والمنطق ويقول: انظروا في الكون تجدوا النظام المحكم سائدًا فيه ويُلبي الحاجات. قد يُظن بأن الظواهر الطبيعية موجودة بالمصادفة، ولكن النظام المحكم لا يمكن وجوده إلا أن يكون وارءه تدبير حكيم. ويشير القرآن إلى النظام والصلات المتبادلة بين أجزاء الكون المختلفة، وأن الأرض والشمس والقمر والنجوم كلها مرتبطة فيما بينها وتدور طبقًا لقانون محدود.

ثم يمكن الظن بأن عين الإنسان جاءت إلى الوجود مصادفة، ولكننا نرى أن الشمس قد خُلقت بعيدة عنها بملايين وملايين من الأميال لتتمكن العين من الاستفادة منها. وكذلك وجد الهواء كواسطة لنقل الأصوات إلى الآذان. إن العلوم المعاصرة قد أكدت أن الأرض قد وُضعت في أنسب موضع لها بين الكواكب، والنجوم تضفي بتأثيراتها على الأرض وأنواع الحياة فيها. إن هذا التناسق الكامل والتلاؤم الشمال يشير إلى خالق مدبر حكيم.

ولكن يظل هذا الاستنتاج عقليًا محصنًا ويشير في أفضل الأحوال إلى مجرد الاحتمال. ولا يمكن للعقل أن يأخذنا إلى أكثر من ذلك. ولكي نصل إلى اليقين لا بد لنا من السبيل الآخر الذى فيه يظهر الله نفسه على خلقه، ويتحدث معهم ليتأكد لهم وجوده.

ولكن علينا أن نراعي بعض الشروط قبل أن نسمع صوته. الكهرباء موجودة في كل مكان ومع ذلك لا بد من بطاريات لندركها. كذا الإنسان بحاجة إلى أن يوجد في نفسه حالة عقلية وأخلاقية معينة كي يصل إلى الله. وهذه ليست متطلبًا عشوائيا، ولكنها طبعة خاصة لكل تجربة علمية ناجحة.

ورسولنا الكريم محمد ﷺ أسوة حسنة في هذا الشأن. كان رجلا فقيرا ووحيدًا، فآمن بالله وأحبه وعشقه وسعى إلى إقامة صلة معه سبحانه وتعالى، وشيئا فشيئا وصل إلى مرحلة معينة سمع عندها صوت ربه يقول: اقرأ باسم ربك.

ربما يزعم البعض أن ذلك كان وهمًا منه ﷺ. من الممكن أن تكون هذه التجرة نوعًا من الوهم (الهلوسة). ما الدليل على أن المتحدث كان بالفعل هو الله تعالى؟ هذا هو السؤال الذى كثيرًا ما يزعج «المثقفين»، ولكن بوسعنا تفحُّص السؤال.

الوهم يمكن أن ينجم من واحد أو أكثر من حواسنا، ولكن لا يمكن أبدًا لهذه التجربة أن يندمج فيها أناس آخرون ولا الحقائق والاختبار.

دعونا نختبر الآن دعاوى سيدنا محمد المصطفى ﷺ بهذا المعيار. فهو قد سمع صوتا ولم ير أحدا في القرب منه أي العين ما أيدت الأذن. قد يكون هذا الحادث وهمًا باتًا. ولكن إذا أثبتت الحقائق والوقائع صدقه وجب القول بأن مصدر الصوت حق ولكن لا يدركه العين.

أُخبر محمدﷺ أنه وأصحابه سوف ينتصرون ويغلبون العالم ويصلحون. وكانت الاحتمالات جميعا تشير إلى عكس ما قال. ومع ذلك لم يزل يردد ويعيد تلك النبوءات على مدى ١٣ عامًا. ولقد اضطُر للفرار من بيته وأهله بينما كان الصوت يؤكد مرة بعد أخرى أن النصر قادم لا محالة. كم من مرة حاولوا قتله خلال هذه الأعوام الثلاثة عشر، ولكن ظل نفس الصوت ينبئه بأنه سيبقى على نحو سالما محفوظًا.

ثم وصل إلى المدينة المنورة وظلّت الوعود تتكرر له. وبعد ١٨ عامًا من دعواه نهضت الجزيرة العربية كلها ضده، وهجم عليه من كل جانب ١٠٫٠٠٠ رجل مسلح، فضلاً عن أعدائه المستترين داخل صفوفه. وأخذ الناس يستهزءون منه ومن أنبائه، ويتهكمون من هذا «الغالب».. الفاتح.. المصلح لا يجرؤ حتى على الظهور خارج خطوطه.

لقد أمر بحفر خندق حول موقعه. وبينما صحابته يحفرون اعترضهم حَجر كبير. فدعوه لمساعدتهم. فأخذ الفأس وضرب به الحجر. فخرج منه الشرر.

فهتف النبي ﷺ: الله أكبر. وردد صحباته الهتاف. ثم ضربة ثانية وشرارة وهتاف. وتكرر ذلك ثلاث مرات. فانكسر الحجر، ولما سأله أصحابه أن يفسر لهم سبب هتافاته قال:

أما اللَّمعة الأولى فرأيت بها فتح اليمن، والثانية رأيت بها فتح الشام والمغرب، والثالثة رأيت بها فتح المشرق».

فهل تسمون هذا وهمًا؟ ألا، ما أسرع ما أثبتت الحقائق الواقعة أنه لم يكن وهمًا، وإنما كانت رسالة صادقة من عند مالك أقدار البشر.

هذه الحقائق والأحداث ليست مقصورة على الأزمنة السابقة فقط، بل لقد شاهدنا مثلها في زمننا الحاضر. لقد قال رسول الله ﷺ أن تعاليمه ستبقى محفوظة إلى الأبد. وتحقيقا لهذا النبأ مازال المصلحون يُبعثون في الأمة الإسلامية من حين لآخر لتجديد دين الله. وأعظم هؤلاء المجددين ظهر قريبًا من بلدنا هذا. وكلّمه الله تعالى وأخبره أن الإسلام على عكس من الظاهر، لن يُغلَب ويُهزمَ كما يتوقع أعداؤه، بل سوف يحيا ويتغلب في الأرض مرة أخرى. ارتاب الناس، فأنبأه الله أن اسم عبده هذا سوف يشيع في أنحاء العالم. كانت الظروف كلها آنذاك معاكسة لتحقق هذا النبأ، وكان هذا المعبوث مخمولاً لا يعرفه الكثيرون من قريته. كان معتادا على العزلة، يقضي معظم أوقاته في المسجد. وارتأى أبوه والناس أنه رجل لا نفع منه. وعلى الرغم من كل ذلك تحقق النبأ وذاع اسمه في كل أنحاء العالم. ولا يزال مثل هذه التجارب تتكرر وتحدث منذ زمن سيدنا آدم إلى يومنا هذا.

وقد يسأل البعض: وهل من الضرورى أن نتبعه؟ لسنا بحاجة إليه في حياتنا المادية فكيف نحتاج إليه في أمورنا الروحانية؟ نتخذ بأنفسنا شريعة أو دينا بعقولنا ومنطقنا؟ والجواب على ذلك أن هناك فرقا بين الدين وعالم المادة، وليس ثمة خطر شديد في نقص بعض الوسائل المادية، فمثلا عدم وجود قطار السكك الحديدية قبل هذا الزمان لم يفسد المصير الروحانى للمجتمعات، ولكن في ما يتعلق بالحياة الروحانية فلو لا نزول الوحي من بداية الأمر لهلكت أجيال كثيرة وظلت غير مستحقة للثواب الروحاني.

ويقودنا هذا إلى سؤال: ما هو الدليل على أن هناك حياة بعد الموت؟ إن المادة التى تتكون منها أجسامنا تتعرض حتمًا لألوف التغيرات، فأي شكل من هذه الأشكال سوف تتخذه أجسامنا في حياتها الآخرة؟ وسؤال آخر: ما الدليل على وجود الروح.؟

والجواب بحسب الاسلام هو أن الروح ليست شيئا خارجيا يدخل في الجسم، وإنما هي ماهية تخلق من مادة الجسم ذاته وتتميز بصفة الارتقاء المتواصل. ليس هناك دحض علمي لخلق الروح في الجسم. كل ما يقوله الإسلام أن هذا المنتَج (الروح) يبقى بعد موت الجسم. ولا ينهض سؤال من أين تأتى الروح لأن الأمر الجدير بالبحث هو أن الروح تستمر في الارتقاء وتشاهد عالمًا جديدًا بعد فناء الجسم. ولا يصح القول أن هذه الفكرة تناقض العقيدة.

ويزودنا القرآن بشهادة أخرى غير مباشرة على وجود الروح، فمثلا الشخص الذى لم يزر لندن ويريد أن يعرف عنها يجب عليه أن يقتنع بالمعلومات التى يقدمها له من زارها، ولكن يجب أن يتحقق من صحة تلك المعلومات. ويرشدنا القرآن إلى التحقيق بأسلوب بارع. فكلما يتحدث القرآن عن الحياة الآخرة فإنه يربط بيانه بحقائق متأكد حدوثها في الحياة الدنيوية، ويكون تحققها تأكيدا على دقة هذه النبوءات البعيدة. وقد حاول الناس منذ زمن قريب إثبات استمرار الحياة بناء على شهادة من الأرواح بعد الموت، ولكنى أرى كل هذه المحاولات تافهة لا جدوى منها، وكل ما يُعرَف بأنها تجارب روحانية ليست إلا ظواهر عصبية مجردة. ومن الأدلة على ذلك أن كل الأجوبة التى تأتى عن الآخرة من جانب ما يسمونه الأروح تشابه مشابهة دقيقةً معتقدات من يشهدون هذه التجارب.

فزبدة القول أن الإنسان لم يُخلق بدون حكمة. أما النزاعات الدينية فإنما تظهر لأن الناس ابتعدوا عن الدين. الدين شيء يُحتاج إليه بالضرورة. ولا يمكن لإنسان أن يحقق الحكمة من خلقه بدون الدين.

المادة تتحول إلى الروح،والروح تمضي إلى الحياة الأبدية. فالجنة تكون لمن يولّدون في قلوبهم محبة الله. والنار عملية مؤلمة لتطهير الروح من علائق المادة. والخلاص النهائي للجميع هو الغاية من حياة البشر.

(ترجمة: عبد المجيد عامر)

شككوا في محتوى الرسالة

وتجرأوا على الرسول

الفهم الاستشراقي للإسلام

بقلم: زعيم الخير الله

الدارس للاستشراق كظاهرة لا يسعه إلا أن يشير إليها بأصبع الاتهام، فأكثر المستشرقين هم موضع ريبة وتساؤل، ونستثني القليلَ القليلَ من المستشرقين الذين كان رائدهم البحث العلمي المجرد. أما الاستشراق كظاهرة فوراءه دوافعه وغاياته، خصوصا إذا عرفنا أن معظم المستشرقين كانوا مبشرين لبسوا مسوح البحث العلمي وصاروا مستشرقين، أو يهودا تعاطفوا مع الصهيونية خصوصا بعد قيام دويلة إسرائيل. يقول الدكتور جواد علي: «إن معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين، أو من المتخرجين من كليات اللاهوت، وهم عندما يتطرقون إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام يحاولون جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني. وطائفة المستشرقين من يهود، وخاصة بعد تأسيس «إسرائيل» وتحكم الصهيونية في غالبيتهم، يجهدون أنفسهم لرد كل ما هو إسلامي وعربي لأصل يهودي. وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والأهواء. (تاريخ العرب في الإسلام ج ١ ص ٩- ١١)

فهم من البداية انطلقوا في دراستهم للإسلام وتاريخه والنبي وسيرته بدوافع مسبقة وأحكام جاهزة، وأخذوا بالأخبار الضعيفة والشاذة لتثبيت أحكامهم المسبقة. يقول الدكتور جواد علي: «لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف في بعض الأحيان وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذ والغريب، فقدموه على المعروف المشهور. استعانوا بالشاذ ولو كان متأخرا أو كان من النوع الذى استغربه النقدة وأشاروا إلى نشوزه ، تعمدوا ذلك لأن هذا الشاذ هو الأداة الوحيدة في إثارة الشك». (تاريخ العرب في الإسلام ج ١ ص ٨-١١).

ونفس المعنى السابق الذي أورده الدكتور جواد علي من كون النبيﷺ أو الإسلام تأثر بالعناصر اليهودية والنصرانية يؤكده غولد تزيهر فيقول: «فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرا عميقا، والتى رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة، وهذه التعاليم التى أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورية لإقرار لون من الحياة في اتجاه يريده الله. لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرا وصل به إلى أعماق نفسه، أدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا إلهيا». (العقيدة والشريعة ص ١٢)

ويدعي جولد تزيهر بأن النص القرآنى مضطرب ويعوزه الثبات: «فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقائديا على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في النص القرآنى» (مذاهب التفسير الإسلامى ص ٤)

ونلحظ الصورة القاتمة المشوهة في الغرب لمحمد ودينه من خلال ما يقوله المستشرق الفرنسي كارادي فو: «ظل محمد زمنا طويلا معروفا في الغرب معرفة سيئة، فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلا نسبوها إليه.» (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ج ١ ص ٢٢)

ويتضح الفهم التبشيرى الحاقد لمعاني القرآن من خلال ما قاله أحد المستشرقين في تفسير قوله تعالى: ﴿وإلى الله المصير﴾ (سورة النور: ٢٤)، فيقول هذا المستشرق: «إن إله الإسلام جبار مترفع، بينما إله المسيحية عطوف متواضع، ظهر في صورة

إنسان، هو الابن الإله. فعقيدة التثليث المسيحية قربت الإنسان من الإله وعقيدة التوحيد الإسلامية باعدت بينهما، وجعلت الإنسان خائفا متشائما...» (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية).

ومهما يحاول المستشرق في تحري الدقة والموضوعية فلا يستطيع أن يصل إلى نتائج صحيحة في فهمه للإسلام وتاريخه والنبي وسيرته، ولا يمكن الفصل بين الرسالة والرسول. فالشك في الرسول شك في الرسالة. ففهم الرسول وسيرته هو المدخل لفهم الإسلام والرسالة. والفهم الجاد للسيرة يقتضي منهجا يقوم على شروط ثلاثة.

يقول الدكتور عماد الدين خليل: يجب أن نلاحظ أن الفهم الجاد للسيرة يقتضى منهجا يقوم على طبقات أو أدوار أو شروط ثلاثة، وإن افتقاد أو تهديم أي واحد منها يلحق ضررا فادحا في مهمة الفهم هذه. فأما الطبقة الأولى الأساسية فهي الإيمان، أو على الأقل احترام المصدر الغيبي للرسالة، وحقيقة الوحي الذى تقوم عليه. أما الطبقة الثانية فهي اعتماد موقف موضوعي بغير حكم مسبق تجاوز كل الإسقاطات التي من شأنها أن تعرقل عملية الفهم. وأما الطبقة الثالثة فهي تقنية صرفة تقوم على ضرورة الإحاطة جيدا بأدوات البحث التاريخي: بدءًا باللغة وجمع المادة الأولية، وانتهاءً بطرائق المقارنة والموازنة والنقد والتركيب.. إلى آخره .وإذا كان الغربيون قد بلغوا حد التمكن والإبداع في هذا الدائرة الأخيرة، فإنهم في نهاية الأمر لم يستطيعوا أن يقدموا أعمالا علمية بمعنى الكلمة لواقعة السيرة، ولا قدروا حتى على الاقتراب من حافة الفهم، بسبب أنهم كان يعوزهم التعامل الأكثر علمية مع الدائرتين الأوليين: احترام المصدر الغيبي والموقف الموضوعي..» (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ج ١ ص ١١٨)

فالذى يدرس السيرة أو الإسلام لا بد وأن يؤمن بنبوة نبي الإسلام أو على الأقل احترام المصدر الغيبي لرسالة النبيﷺ على حد تعبير الدكتور عماد الدين خليل الآنف الذكر، وإلا إذا تم التجاوز على هذه النقطة فسيتعامل مع النبي باعتباره فاتحا من الفاتحين كالإسكندر ونابليون وللرسالة على أنها الوسيلة لتجميع الناس حوله من أجل تحقيق طموحاته. وهذا ما وقع فيه أكثر المستشرقين الذين كتبوا في السيرة. وبهذا المنطق يتحدث فويلز عن الرسولﷺ فيقول: «بأن محمدا رجل دفعته طموحاته ووساوسه في سن الكهولة إلى تأسيس دين ليعد في زمرة القديسين. فألف مجموعة من عقائد خرافية وآداب سطحية، وقام بنشرها في قومه فاتبعها رجال منهم..» (الإسلام والثقافة العربية في مواجهة الاستعمار ص ٢٣٩)

وفهموا حروبه وغزواته فهما لا يختلف عن تصرفات القادة العسكريين والفاتحين. ففسر بروكلمان مهاجمة النبيﷺ ليهود بنى النظير لا على أنهم أخلوا بشروط الذمة ونقضوا العهد، بل فسرها على تعويض لهزيمة أُحُد. يقول بروكلمان -قاتله الله: «كان على محمد أن يعوض خسارة أُحُد التي أصابت مجده العسكري، من طريق آخر، ففكر في القضاء على اليهود، فهاجم بني النظير لسبب واه». (تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٥٢).

وفسر بروكلمان شجار النبي مع اليهود على أنه حسد النبي لليهود لتفوقهم علميا: «لم يطل العهد بمحمد حتى شجر النزاع بينه وبين أحبار اليهود. فالواقع أنهم على الرغم مما تم لهم من علم هزيل في تلك البقعة النائية كانوا يفوقون النبي الأمي في المعلومات الوضعية وفي حدة الإدراك...» (تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٧).

ويضرب فلهاوزن على نفس الوتر، والحقدُ على النبي والإسلام يقطر من كلماته: «لم يبق الإسلام على تسامحه بعد بدر، بل شرع في الأخذ بسياسة إرهاب في داخل المدينة. وكانت إثارة مشكلة المنافقين علامة على ذلك التحول.. أما اليهود فقد حاول أن يُظهرهم بمظهر المعتدين الناكثين للعهد. وفي غضون سنوات قليلة أخرَجَ كل الجماعات أو قضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة حيث كانوا جماعات متماسكة كالقبائل العربية، وقد التمس لذلك أسبابا واهية» (الدولة العربية وسقوطها ص ١٥ - ١٦)

ويظهر مرغليوث - هو الآخر- عطفه على اليهود فيقول: «عاش محمد هذه السنين الست ما بعد هجرته على التلصص والسلب والنهب، ولكن نهب أهل مكة قد يُسوّغه طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه، وكذلك بالنسبة إلى القبائل اليهودية

في المدينة، فقد كان هناك-على أي حال- سبب ما، حقيقيا كان أم مصطنعا، يدعو إلى انتقامه منهم؛ إلا أن خيبر التى تبعد عن المدينة كل هذا البعد، لم يرتكب أهلها في حقه ولا في حق أتباعه خطأ يعتبر تعديا منهم جميعا، لأن قتل أحدهم رسول محمد لا يصح أن يكون ذريعة للانتقام. وهذا يبين لنا ذلك التطور العظيم الذي طرأ على سياسة محمد. ففي أيامه الأولى في المدينة أعلن معاملة اليهود كمعاملة المسلمين، لكن الآن (بعد السنة السادسة للهجرة) أصبح يخالف تماما موقفه ذاك. فقد أصبح مجرد القول بأن «جماعة ما غير مسلمة» يُعَدُّ كافيا لشن الغارة عليها. وهذا يفسر لنا تلك الشهوة التي أثرت على نفس محمد والتي دفعته إلى شن غارات متتابعة، كما سيطرت على نفس الإسكندر من قبل ونابليون من بعد.. إن استيلاء محمد على خيبر يبين لنا إلى أي حد قد أصبح الإسلام خطرا على العالم».
(Mohammad and the rise of Islam ص ٢٦٢ ٢٦٣)

وينفث نولدكه حقده على محمد (ﷺ) متمنيا لو أن القبائل كانت يدا واحدة لتوقف زحف محمد عليها: «لو أن القبائل العربية استطاعت أن تعقد بينها محالفات عربية دقيقة ضد محمد للدفاع عن طقوسهم وشعائرهم الدينية والذود عن استقلالهم إذن لأصبح جهاد محمد ضدهم غير مجدٍ. إلا أن عجز العربي عن أن يجمع شتات القبائل المتفرقة قد سمح له أن يخضعهم لدينه القبيلةَ تِلو الأخرى، وأن ينتصر عليهم بكل وسيلة، فتارة بالقوة والقهر، وتارة بالمحالفات الودية والوسائل السلمية» (تاريخ العالم لمجموعة من المؤرخين ج ٨ ص ١١)

ورغم هذا الحقد والعداء للرسول(ﷺ) وللإسلام إلا أن بعضهم كان منصفا أمثال الإنكليزي توماس كارليل وغيره والذين هم قليل. يقول توماس كارليل في كتابه «البطل وعبادة الأبطال»: «لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يُصغي إلى القول بأن دين الإسلام كذب، وأن محمدا خداع مزور. فإن الرسالة التى أداها ذلك الرجل مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لمئات الملايين من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا».

بهذه العقلية وبهذه المواقف المسبقة تناول المستشرقون تاريخنا وحضارتنا. وحتى الذين حاولوا أن يكونوا منصفين وموضوعيين وقعوا في أخطاءٍ جسيمة في نتائج بحوثهم لأنهم انطلقوا من منطلقات غير صحيحة ومقدمات فاسدة وافتراضات موهومة. نسأل الله أن يكون هذا الجهد المتواضع وسيلة لكشف اللثام عن بعض ما تناوله المستشرقون لينتبه بعض ناشئة المسلمين الذين انبهروا بما كتبه المستشرقون.

قصة صينية

كان هناك رجل عجوز يعيش في شمال الصين، وكان اسمه السيد/ أمِّي. كان منزله يواجه الجنوب، وأمامه جبلان عاليان هما 'بانج' و 'وانج'. اقترح الرجل على أولاده ذات يوم أن يشرعوا في حفر هذين الجبلين تمهيدا لنقلهما بعيدا عن البيت. فقال له جاره السيد/ذكي: أعرف أنك غبي عجوز، ولكن ليس إلى حد أن تزيل جبلين بالحفر اليدوي. أجاب الرجل العجوز: يا صديقي، إنك على صواب، ولكن تذكَّر أني عندما أموت سيقوم أولادي به، ثم إذا ماتوا يقوم أحفادي بالعمل.. وهكذا يستمر الحفر. هذه الجبال لن تزداد طولا، وكل يوم نحفر فيصغر حجمها، ونتعشم ذات يوم أن يزول هذا الإزعاج تماما من أمام المنزل. ولما سمع الرب سبحانه وتعالى حكاية الرجل العجوز أرسل ملكين فأزالا الجبلين في الحال!!

وصفُ حمار..

عن الهيثم بن عدي قال: بينما أنا بكناسة الكوفة إذا برجل مكفوف البصر قد وقف على نخَّاس يسوق الدواب، فقال له: أبْغِني حمارًا لا بالصغير المحتقر، ولا بالكبير المشتهر، إذا خلا له الطريق تدفق، وإذا كثر الزحام ترفق، وإن أقللت علفه صبر، وإن أكثرته شكر، وإذا ركبته هام، وإذا ركبه غبري نام.

قال له النخاس: يا عبد الله اصبر، فإذا مسخ الله القاضي حمارا أصبت حاجتك.. إن شاء الله !

صيغة المبايعة

والانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، وعلى عبده المسيح الموعود

حضرة إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، أيده الله بنصره العزيز

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد،

أتشرف أنا . . . . . .

بإحاطتكم علمًا بأني قد اطلعت على عقائد الجماعة الإسلامية الأحمدية وشروط الانضمام إليها، فشرح الله صدري، وحبّب إليّ الانضمام إلى هذه الجماعة المباركة، وأرجو منكم قبول مبايعتي هذه:

أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أنا الموقع على هذا، أبايع اليوم إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، مولانا مرزا طاهر أحمد، الخليفة الرابع للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وأنضم إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية.. وأتوب إلى الله من جميع ذنوبي السابقة.. وسوف أسعى جهد طاقتي لاجتناب الذنوب والمعاصي كلها.. ولن أشرك بربّي أحدا.. ولن أتبع الأهواء النفسانية.. لن أغتاب.. ولن أوذي أحدا من خلق الله. وسوف أوثر الدين على الدنيا.. وأجتهد في العمل بجميع أحكام الإسلام.. وسأسعى جاهدا لتعلم وتعليم وسماع القرآن المجيد، والسنة النبوية، وكتب حضرة المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. وسوف أطيعكم في كل ما تأمرونني به من المعروف.

كما أومن بأن سيدنا ونبينا محمدا ﷺ هو خاتَم النبيين. وأصدق بكل ما ادعى به الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام.

أستغفر الله ربي من كل ذنبٍ، وأتوب إليه.

أستغفر الله ربي من كل ذنبٍ، وأتوب إليه.

أستغفر الله ربي من كل ذنبٍ، وأتوب إليه.

ربِّ إني ظلمتُ نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص

ALTAQWA
ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE
VOLUME No 7, ISSUE No 3, July 1994

شروط المبايعة

للانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية

معربةً من كلام الإمام المهدي والمسيح الموعود (عليه السلام)

أن يتعهد كل مبايع من صميم فؤاده على ما يلي:

١. أن يجتنب الشرك حتى الممات.

٢. ألا يقرب الزنى، ويجتنب قول الزور، وخيانة الأعين، ويحترز من جميع أنواع الفسق والفجور والظلم والخيانة، ويتنكب عن طريق البغي والفساد، ولا يدع الثوائر النفسانية تتغلب عليه مهما كان الداعي إليها قويًا وهامًا.

٣. أن يواظب على الصلوات الخمس بالالتزام.. تبعًا لأوامر الله تعالى وتعاليم رسوله الكريم ﷺ.. ويداوم جهد المستطاع على إقامة صلاة التهجد، والصلاة على النبي ﷺ، وطلب العفو من ربه على ذنوبه والاستغفار، ويذكر كل يوم نعم الله ومننه بخلوص قلبه، ثم يشكره عليها، ويتخذ من حمده والثناء عليه وردًا له.

٤. ألا يؤذي أحدًا من خلق الله عمومًا، والمسلمين خصوصا.. بثوائره النفسية، لا بيده، ولا بلسانه، ولا بطريق آخر.

٥. أن يكون مخلصا لله تعالى وراضيا بقضا في جميع الأحوال.. حالة الترح والفرح، والعسر واليسر، والضنك والنعم.. ويكون مستعدا لقبول كل ذلة وهوان، وتحمل كل مشقة وعناء في سبيله، ولا يُعرض عنه عند حلول مصيبة أو نزول بلية.. بل يمشي إليه قُدُما.

٦. أن ينتهي عن اتباع الرسوم والعادات والأهواء والأماني الكاذبة، ويقبلَ حكومة القرآن المجيد على نفسه بكل معنى الكلمة، ويتخذ قول الله وقول الرسول ﷺ دستورًا لعمله في جميع مناهج حياته.

٧. أن يطلِّق الكِبْرَ والزَّهو طلاقا باتًّا، ويقضي أيام حياته بالتواضع والخضوع، ويقابل الناس بالبشر، ويعاملهم بالحلم والخلق الحسن.

٨. أن يكون الدينُ وعزُّه، ومواساةُ الإسلام أعزَّ عنده من نفسه وماله وأولاده.. ومن كل ما هو عزيز لديه.

٩. أن يواسي جميعَ خلق الله تعالى، ويعطفَ عليهم ابتغاءً لمرضاته، وينفق.. بقدر الإمكان.. كلَّ ما رزقه الله من القوة والنعم في خير أبناء جنسه ونفعهم.

١٠. أن يعقد مع هذا العبد (الإمام المهدي والمسيح الموعود) عهدَ الأخوّة.. خالصًا لوجه الله تعالى.. على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكثه حتى الممات. ويكون في هذا العقد بصورة لا تعدلها العلاقات الدنيوية.. سواء كانت علاقات قرابة أو صداقة أو عمل.

(إعلان تكميل التبليغ في ١٢ يناير ١٨٨٩).